د. عبدالهادي التازي

إيران بين الأمس واليوم

قراءة جديدة لرحلة ابن بطوطة



1984 — 1404

إيران بين الأمس واليوم

قراءة جديدة لرحلة ابن بطوطة

نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي

الطبعة الأولى 1404 ــ 1984

د. عبد الهادي التازي
سفير المغرب السابق في طهران

إيران بين الأمس واليوم

قراءة جديدة لرحلة ابن بطوطة

1404 — 1984

بسمه تعالی

إهداء

تحية لروح الأستاذ علال الفاسي الذي تمنَّى – وهو في زيارة لاصفهان . وبالذات بضريح علي بن سهل تلميذ الجنيد – أن يقوم أحدٌ بتقفي خطوات ابن بطوطة في ايران ويقارن بين آثارها بالأمس واليوم ... لقد رجوت أن أكون ذلك «الأحد» وخاصة عندما سَفِرْتُ لبلادي في طهران ووقفت هناك على ما تيسر لي من معالم ومصادر .

والأمل أن يجد المهتمون بايران في هذه الورقات . ما يعطيهم عنها صورة الماضي التي لم تكن مختلفة عنها في الحاضر.

قزوين . رمضان 1399
غشت 1979
د. عبد الهادي التازي

ابن بطوطة في إيران

تظل حكاية المؤرخ ابن خلدون عن « تناجي الناس بتكذيب ابن بطوطة » حكايةً فيها الكثير من التجني على الرحالة الإفريقي ، وقد استدعت منذ ذلك العهد تحذير ابن خلدون من طرف الوزير ابن وَرْدَار الذي استغرب من مؤرخنا استكباره وانسياقه العشوائي مع المتناجين بالإثم والعدوان ، من غير أن يحمل نفسه عناء البحث وتكاليف السفر ليرى بنفسه ما رآه ابن بطوطة . وقد استمر ذلك التحذير بما صحبه من مقارنة ابن خلدون بالطفل الذي نشأ مع والده في حبسه لا يرى هناك غير فأرة كانت تتراقص أمام عينيه ، فلما أدرك ، سأل والدَه عن اللحم الذي كان يتغذى به ، فقال له : غَنَم ، فقال الولد : وما الغنم ؟ وهل إنها تشبه الفأر ؟! ويجري ذكر البقر والإبل ، فيسأل الولد والده هل هي كالفأر ... استمر مثلا يضرب بالنسبة للذين لا يريدون أن يتصوروا الأشياء إلا من منظورهم الخاص[1] .

---

(1) مقدمة ابن خلدون (طبع دار الكتاب اللبناني) 1956 ، المجلد الأول القسم الثاني ص 325 — 327 .

من يدري لعل ابن خلدون عندما قصد بلاط فاس ليحكي عن أمر ذلك « التناجي » . كان يهدف إلى انتزاع قرار بمنع ترويج أخبار الرحلة . لكن الوزير ابن وردار كان في مستوى المسؤولية ، وهكذا رجع ابن خلدون بخفي حنين وبقيت رحلة ابن بطّوطة بين أيدي القراء ![2]

أردت أن أقول بعد هذا إن الوثائق والحقائق ما تزال تؤكد لنا يوما بعد يوم أن « تناجي » الناس إن كان ، إنما هو ضرب من الغيرة المتعنتة والجهالة المتزمتة ، فإن معظم — إن لم أقل كل — ما يرويه ابن بطوطة يحملنا على المناداة بتصديقه وليس على المناجاة بتكذيبه ؛[3] وتعضدنا في هذا القول المصادر الإيرانية القريبة من عصر ابن بطوطة من أمثال مؤلف حمد الله مستوفي ومحمد غزنوي اللذين تتفق معلوماتهما مع المعلومات التي قدمها ابن بطوطة[4] ...

وها نحن نعيش اليوم مع ابن بطوطة في ايران ، فماذا عن القيمة العلمية لما رواه ؟ لقد زار الرحالة بلاد ايران خمس مرات أي مرة أكثر من زيارته للحرمين الشريفين ! في مرة عن طريق الجنوب الغربي وفي مرة

---

(2) ينطق بالطاء الأولى مشددة كفطُّومة على ما نقل عن المصادر القديمة ، هذا ومن الأمثال المغربية المتعلقة بابن بطوطة «لا يْدها من طنجة لبر الكلب» يعني زائرها (أي الدنيا) من طنجة إلى إقليم الإسكيمو حيث الكلاب تجر العربات : مجلة الفصول الأربعة — ليبيا ، دجنبر 1979 .

(3) إن بعض ما يؤاخذ على ابن بطوطة في الرحلة لا يرجع إلا لسبب واحد وهو أن الرجل فقد مذكراته المكتوبة أثناء عملية السطو التي تعرض لها ... وهكذا فعندما كان يملي إفاداته على ابن جزي — بعد أزيد من عشرين سنة — خانته الذاكرة . أضف إلى هذا ما يمكن أن يوقعه فيه التراجمة القاصرون أو المحترفون على نحو ما نرى عندما يلتبس عليه إسم (محمد ومحمود ينجو) أو تختلط عليه مشاهدات سنة 1327 مع مشاهدات سنة 1347 ... أو كذلك يسهى عن التفريق بين مراحل الذهاب ومراحل الإياب وهو في خراسان ...

(4) يعتبر حمد الله مستوفي من المؤرخين الجغرافيين الإيرانيين المعاصرين لابن بطوطة (توفي سنة 750) وله مؤلفات منها (تاريخ كَزيده) أي التاريخ المنتخب ، و(ظفر نامه) ، و(نزهة القلوب) ...

عن طريق الشمال الغربي وتارة عن طريق الجنوب الشرقي . وتارة عن طريق الشمال الشرقي ، وفي المرة الخامسة جدد الزيارة عن طريق الجنوب الشرقي ...لقد اخترق سلسلة جبال زَجْرس[5] (Zagros) ليعبر إلى اصفهان ... وشارف سلسلة جبال أَلْبُرز (Alborz) وهو يزور بسطام ... وقطع مع ذلك الأودية والسهول ووقف على عدد من المدن والقرى والمسالك والممالك ، وكانت رحلته بمثابة سجل (Nomenclature) ممتاز تعتمد عليه ايران في تنميط أسمائها الجغرافية التي تتعدد أحيانا فتزيد الباحثين ارتباكا.[6]

مَن في الزائرين بل والمقيمين في القديم والحديث استطاع أن يخرق البلاد بالطول والعرض فيصل إلى سائر أطرافها في الشرق والغرب ... زار ابن بطوطة في المرة الأولَى إقليم خوزستان وإقليم بختياري وإقليم اصفهان وإقليم يزد وإقليم فارس وإقليم بوشهر ...

وقطع في المرة الثانية إقليم كرمانشاهان وإقليم كردستان وإقليم آذربيجان الغربية وإقليم آذربيجان الشرقية ليجد نفسه في تبريز .

وقام في الزيارة الثالثة بالنزول في إقليم هرموزگان ليزور إقليم فارس من جديد قبل أن يعود إلى الجنوب لعبور الخليج إلى البحرين ...

وفي المرة الرابعة يخترق إقليم خراسان وإقليم سمنان الذي يتصل بإقليم تهران. ويعيد الكرة في المرة الخامسة على هرموزگان وفارس واصفهان

---

(5) سلسلة جبال متصلة بشمال تهران يتجاوز طولها ألف كلم . ويعتقد قدماء الإيرانيين أن هناك طائرا يسمّى جمرس يعشعش في قمة جبل ألبرز يحمي ايران من غارات الأعداء/ الشاهنامة ص 56 .

(6) مما يلاحظ في هذه الجهات تعدد أسماء الموقع الواحد في المنطقة الواحدة فمثلا هنا شهرستان في خراسان بين نيشابور وخوارزم ، وهناك شهرستان قصبة بناحية نيشابور وشهرستان لمدينة بينها وبين أصفهان ... هذا إلى مدن أخرى لها أسماء متعددة ...

وبختياري وخوزستان [7] . وقد تعرف على جل ملوك الطوائف الذين كانوا يتوزعون البلاد ... واستقبل من طرفهم وتحدث إليهم بإسهاب عن بلاد المغرب ... فكان بذلك أول من أعطَى صورة طبق الأصل عما كانت عليه ايران أواسط القرن الثامن الهجري وقد أعطَى وصفا معبرا عن قواعد ايران على ذلك العهد من التي كانت لها أهمية دولية ومركز عالمي من حيث إحكام الاتصال وربط العلاقات التجارية ، وقد ذكر من تلك القواعد (تبْريز) التي كانت محور اللقاء بين آسيا وأوروبا ... كما ذكر هرموز الجديدة (جرون) وجزيرة كيش (قيس) التي كانت ملتقَى رجال الأعمال بين القارة الأسوية والأوروبية ، بل والإفريقية كذلك ...

وهو إلى هذا يقدم خدمة جلّى للذين يؤرخون للحياة العلمية والثقافية والصوفية في ايران ... فقد قدم وصفا لم يتأت لغيره أن يقدمه عن المدارس المنتشرة في أطراف البلاد سواء في ذلك الجبال والوهاد وسواء في ذلك المدن والقرَى ... لقد كان هذا الإحصاء منه لتلك المدارس يفسر ظاهرة وفرة العلماء بتلك الديار ويفسر لنا لماذا كان معظم التراث الإسلامي ينتسب لقوم من جام وسرخس ونيسابور وطوس وبيهق وقزْوين وطبرستان وتبريز وأصفهان وشيراز ...

وكأن كل هذا لم يكن كافيا له ليعطي فكرة عن المركز الحضاري للبلاد فرأيناه يقدم السيدة الإيرانية على أنها مهتمة بتناول العلم والأخذ بجانب المعرفة كالرجل ، ولذلك أعطَى وصفا مشرفا لمجلس من مجالس السيدات في شيراز لم يستطع أحد على ما في علمنا أن يعطيه ، بل لم ينتبه حتّى

---

(7) نرَى أن الرحالة المغربي مر بثلاثة عشر إقليما من ثلاثة وعشرين إقليما تتكون منها ايران . والأقاليم الباقية : إقليم تهران (تهران إنما كانت قرية تابعة لمدينة الريّ التي ينتسب إليها الرازي ، وقد أصبحت دار خلافة فقط ابتداء من أواسط أيام الشاه طهماسب أول (1524 ـ 1576) . ومازندران (أو طبرستان) وكرمان وسيستان ـ بلوجستان وهمدان ولرستان وزنجان وايلام وكهكيلويه .

المؤرخون القدامى من أهل البلاد أن يبرزوه على أنه ظاهرة حضارية رفيعة ! ولم يدُرْ بخَلَد فقيهات ايران أن رحَّالة من شمال إفريقيا ، من المغرب الأقصَى ومن مدينة طنجة بالذات يقوم بأخذ لقطات لهن وهن يمسكن بيدهن المراويح ويستمعن إلى مجالس الوعظ ...ويعرضها أي تلك اللقطات على أهل المغرب بل وليقدمها إلى قراء العربية كافة ، وتظهر اليوم بعد ستة قرون أو تزيد وكأنها لقطات أخذت اليوم لفضليات ايران وهن يمسكن بيدهن المراويح ويشاركن في مجالس عزاء الحجة السيد طالقاني رحمه الله ...وقد أعطَى ابن بطوطة من جهة أخرى وصفا لطريقة العزاء عند أهل التشيع (ضرب الصَّدر باليد) يظل إلى الآن يذكِّر فيما توجد عليه الحال بهذه الدِّيار ...

ستظل ايران فعلاً مدينةً للرحالة المغربي فيما أسداه لتاريخها ...

وأنا على مثل اليقين من ابن بطوطة لو لم يكن مخططاً لرحلةٍ ما تزال أهدافها مجهولة لديه لكان قد جدد فراشه في ايران ...بالرغم مما نعرفه عن مشاعر الرحَّالة المغربي إزاء الشيعة ...

وابن بطوطة يعطي صورة صادقة عن مدى تغلغل الفكر الصوفي هناك نتيجة للظلم والقهر الذي نزل بالبلاد وبخاصة في أعقاب مداهمة المغول وإجهازهم على الآثار والمعالم وحصدهم للعلماء ورجال المعرفة الذين كانوا عيونا مبصرة وإشارات مضيئة ...لقد زار ابن بطوطة هذه البلاد وقد طغت فيها أفكار الزهد والإنقطاع لدى بعض الخواص الذين أصبحوا يرون في مخالطة الناس مدعاة لارتكاب الآثام ...وممارسة الشرور ...وهكذا رأينا ابن بطوطة نفسه يغرق منذ أن وطئت أقدامه عبادان في بحور القول ويتأثر بالمحيطات التي يسبح في فلكها ...إن المؤرخين للحركة التصوفية في ايران لا يسعهم تجاهل اللائحة الطويلة والعريضة للزوايا التي كانت تشيَّد على رأس كل مرحلة ، وقد توفرت على كل ما يمكن أن يجذب اليها العباد والزّهاد ...

وقد أمتعنا الرحالة المغربي بإعطاء أمثلة رائعة عن عادة خلع الطاقيات والأردية التي كانت معروفة في عالم المشيخة والتصوف ورأيناه يتقلد الشاشية الموروثة عن العلماء الأعلام، ورأيناه كذلك يرتدي الرداء المسماري والهزاريمخي على حدّ التعبير القديم.

وابن بطوطة من جهة أخرى يعتبر مرجعا من المراجع التي تبحث حول قادة ورجال ايران في القرن الثامن الهجري فقد تضمن عددا من الأعلام التاريخية فيها الحكام وفيها الأمراء والسلاطين كما أن فيها الوزراء والقضاة والشعراء ورجال العمل. ومن كثر حبه لإيران وجدناه يحرص على أن يسمع عن قادتها ما يثلج الصدر ويطرب النفس وكأنه لا يرضَى أن يقال عن الأسرة الإسلامية ما يخدش كرامتها أو يسيء إلى هيبتها. وهكذا وجدناه يؤنب بعنف أحد حكام ايران الأمير أفراسياب الثاني سلطان لرستان، وقد وجده متلبسا بتناول الخمور بالرغم مما كان يُستهدَف له ابن بطوطة — وهو يوّجه — من حرمان وعذاب ... لقد كان يفرض نفسه على مضيفيه غير مبال بالمزالق التي يقع فيها؟ يعتبر في ذلك مساعدةً لأهل البلاد على تقويم ما اعوج من أخلاق قادتهم ...

وعن تاريخ الفكر الإسلامي في البلاد يعتبر ابن بطوطة مرجعا بارزا بل ووثائقيا لا يقدر بثمن ... فقد اعترف المؤرخون سواء منهم الأجانب والمواطنون بأن الرحالة المغربي عرف **كيف يسجل بدقة مراحل** الصراع العقائدي في المنطقة وخاصةً بين المذهب السنّي والمذهب الشيعي أو التشيع العلوي والتسنُّن المحمدي كما يقال اليوم، سواء في جنوب البلاد أو شمالها ... إن أحدا من عامة الناس لا يعرف شيئا عن المحاولات الحاسمة التي بذلت — قبل ظهور الصّفويين —[8] من أجل فرض المذهب الشيعي على

(8) توفي شيخ الصَّفويين إسحاق الدين بن جبرائيل (العلوي الحُسَيني) في أردبيل (شمال آذربيجان) سنة 1334م وكانت له حظوة كبيرة لدَى رشيد الدّين وزير الدولة الإيلخانية في فارس وكانت طريقته التي عرفت بالصّفوية صوفية في نشأتها.

سائر سكان ايران أو بالحري من أجل جعله المذهب الرسمي للدولة ...لكن ابن بطوطة يسوق في رحلته تفاصيل مطرفة لشاهد عيان عن تلك المحاولات التي انتهت كما يؤكد إلى فشل سريع ذريعٍ جعل الحاكمين يؤمنون بترك الحرية للناس في أن يتبعوا المذهب الذي يرتضونه.(9)

وهكذا اضطرت « مملكة » خُدَابَنْدِه (أُولْجَايْتُو) بعد رفض شيراز ، واضطرت «جمهورية» خراسان بعد صدام (زاوة) إلى الرضَى بالأمر الواقع : ترك الحرية للناس.

والمؤرخ للبلاد من الناحية السياسية سيجد نفسه مضطرا لمرافقة ابن بطوطة وهو يروي عن بقايا السلطة المركزية في بغداد و « ملامح » الخلافة في المشرق ...وهو يودع إمارة إلى إمارة وسلطانا إلى سلطان ورئيسا إلى رئيس. وقد ركبت الناس أهواء الإنفصال وهيمنت عليهم نزعة الإستقلال ... وكل هذه مؤشرات أواخر العهد الإيلخاني ، وأوائل فترة الإمارات المحلية... إمارة هزاراسبي الأتابكية ، وإمارة ينجو وإمارة آل المظفر وإمارة تمَهتن ومملكة الغوريين وجمهورية سربداران...من استطاع من المؤرخين أن يتتبع صراع قطب الدين مع أخيه نظام الدين في هرمز

= ويلاحظ أن الدعوة الصفوية تبنّت المذهب الشيعي الإثني عشري منذ عهد خواجه عليّ حفيد **صفي الدّين** الذي يقال إنه مثل جده صفّي الدين لم يبد رغبة في أي سلطة سياسية بادئ الأمر بيد أن الدعوة الدينية لم تلبث أن تطوّرت إلى حركة سياسية حيث شاهدنا قيام الدولة الصفوية فيما بعد سنة 1490 وشاهدنا تحركها في اتجاه بغداد قبل أن تدخل في صراع مع العثمانيين الذي قاوموا طموحها لتصدير المذهب الشيعي وفرضه على الناس وكتبوا يخبرون بتحركها العاهل المغربي السلطان أحمد المنصور الذّهبي الذي شجب أطماع الصّفويين على ما فصلناه في التاريخ الدبلوماسي للمغرب. فاضل رسول : هكذا تكلم علي شريعتي. الطبعة الثانية. دار الكلمة للنشر. بيروت 1983 (انظر : ص 13 و71).

(9) من الملاحظ أن المغرب ظل يشجب محاولة فرض المذهب الشيعي على الناس في ايران سواء أيام بني مرين أو أيام السعديين الذين كانوا يرسلون بخطابات في هذا الصدد إلى العثمانيين على ما أوضحناه في كتابنا **التاريخ الدبلوماسي للمغرب** ...

ومن استطاع أن يحدد نهاية هذه المملكة وبداية تلك إلى ما وراء الخليج غير هذا المسافر العابر الذي نسميه ابن بطوطة ؟

ولم يفت الرحالة المغربي وهو يتسلق الجبال أن يقدم **إلينا قطعا من الأحجار الكريمة التي** تستأثر بها المنطقة ، والتي ظلت مجلبة للتجار والسيَّاح والمتجملين والمتجملات ... فهنا اللاذَوَرْد الذي ينسبه الناس خطأً إلى خراسان[10] ، وهنا الياقوت الأحمر : البلخش الذي يحمل نفس الإسم في اللسان الغربي (Balais) وهنا الفيروز الذي يعرف كذلك باسم (la Turquoise)

ويهتم ابن بطوطة كذلك بتقديم الإشارات التي تعبر عن الوجود الحضاري بالمنطقة ، فهو لم يهمل آثار الهندسة الهيدروليكية التي كانت تتراءى له منذ مراحله الأولَى عندما شاهد دواليب الماء التي تساعد على سقي الأماكن العالية ... وعندما شاهد الجسور التي تربط أطراف المدن بعضها ببعض ...

وابن بطوطة عندما يتذكر تشكيلة الفواكه التي حبا الله بها أرض ايران يُسيل لعابك بل يضعك مع الصورة الحقيقة لما تنعم به البساتين والحقول وهو لا يكاد يذكر وجبة تناولها دون أن يذكر أنواع الفواكه التي تكون ختاما لصحونه ، ويظهر أنه أُخِذَ — كما أُخِذنا نحن فيما بعد — بتعدد الفاكهة وطيب نكهتها وذكاء ريحها وجمال منظرها وزهادة أثمانها وأسعارها بما فيها التفاح ... والمشمش والسفرجل والبطيخ والأعناب والتوت ، تلك كانت ايران وهي ما تزال كذلك إلى الآن : طَبَق متنوع الألوان مختلف

---

(10) كان من تحريات ابن بطوطة الإشارة إلى أن منجم اللاذورد يوجد في بدخشان (محافظة شمالي أفغانستان) وليس في خراسان كما يشتهر عند الناس ولو أن الإقليمين متقاربان . ويعتبر اللاذورد بفتح الذال المعجم (الذي ينطق به في الفارسية زايا) وبفتح الواو وتسكين الراء ... من الأحجار الكريمة التي تصدر من بدخشان ويمتاز إضافة إلى جمال لونه السماوي بالعروق الذهبية التي تتخلله وتزيده جمالا وروعة ..

المذاق ...وفي متناول الجميع ...وحتّى المكسّرات أثارت انتباه ابن بطوطة في ايران ...وقد اهتم على الخصوص (بالفستق) (پسته) لأنه لم يكن معروفا بالمغرب على ما يذكر ابن فضل الله العمري (ت 749) والفستق فاكهة محببة إلى السياح والمتلذذين ! وقد عرفت الأنواع الرفيعة منها الطريق من خراسان إلى اليونان منذ القديم ...(11)

وقد ظهر **حب ابن بطوطة** جلياً **لتشكيلة السمك** الذي تتوفر عليه منطقة الجنوب فهو ما أنفك يشيد بالسمك المشوي بواسطة حطب شجر الطرفاء العطِر ...وهو ما انفك يتحدث عن ما كان يقدم إليه من حوت طرِّي طيب الطعم صافي اللون ...وهو الذي ردد لنا لأول مرة حكمة خليجية تقول : «خُرْمَا وماهي لُوت پادشاهي» أي أن التمر والسمك طعام الملوك ! (12)

ولو امتد العمر بابن بطوطة ... وقصد الجهة المقابلة في الشمال ...بحر قزوين أو الخزر كما يسمونه ، لذاق أيضا فاكهة أخرى من فواكه البحر ...وأعني بها (الخافيار) الذي يظل فِعلاً المقبِّل المفضل للمحظوظين والميسورين ...

وقد سحر ابن بطوطة **بإبداع القاشانيين** في نقوشهم وتصويرهم فغدا في كل مناسبة يعبر عن إعجابه لعبقرية الصانع الايراني في ميدان الزخرفة

---

(11) عرفت غابات بادغيس (بين مرو وهرات) على الخصوص بوفرة الفستق ... ومن الطريف أن تعرف أن في جملة الهدايا التي رجع بها جنود الاسكندر إلى آثينا ، كميات كبيرة من الفستق ، وقد أصبح حمله سنويا من العادات المألوفة إلى أن نقلت جذور الشجر إلى الإغريق ...

(12) نرَى ابن بطوطة يقبل على تعلم اللغة الفارسية الأمر الذي جعل منه شخصا يستظهر شعرا بالفارسية عندما كان بالصّين حيث غنّى الناس بالصيني وبالعربي وبالفارسي :

تــــادل بمحـــــنت داديم   در بحر فـــكـــر افـــتـــاديم
چون در نماز اســـتـــاديم   قوى بمحـــــراب أنـــــدريم

الرحلة 4 . ص 289 — 290

والتوشية والتطريز ، الأمر الذي ينعكس الآن على الزرابي الفارسية التي طبقت شهرتها الآفاق .

وعندما نذكر المتاجر والمصانع والفنادق والأسواق نراه يتحدث عن المكاييل والموازين والأثمان **والأسعار دون ما** أن يكسل عن المقارنات والمفارقات بين العملة في ايران وهناك في المغرب[13] ، ولم تقتصر مقارناته على ما يمس الناحية التجارية فحسب ولكنه يتعداها إلى الميادين الأخرى حيث رأيناه ينتقل من الإعجاب بالقاشاني في إيران إلى مقارنته بالزّليج المغربي في مدرسة أبي عنان بفاس ، وينتقل في الحديث عن مسجد بلخ أم الدنيا إلى جامع حسان من مدينة الرباط ، فكان ابن بطوطة بذلك أول من قارن بين حضارة المشرق والمغرب ...وأعطَى رأيه فيهما ولكأنه مبعوث سياسي عهد إليه بأن يُعرِّفَ ببلاده على نفس النحو الذي يستقبل به المعلومات عن البلاد الأخرى ...

لقد حبب ابن بطوطة السياحة للناس فيما كتبه عن ايران ، ومن واجب وزارات السياحة أن تجعل من حكمته لازمة ترددها فيما تنشره من بيانات ، سيما عندما اجتمع بناسك عبادان والتمس منه أن يدعو الله له في أن يحقق مراده الوحيد من هذه الدنيا : ألا وهو السياحة في الأرض ..!

لقد حقق الله مراد ابن بطوطة فعلا في هذه الدنيا ، وهكذا نقش اسمه على كل أرض وفي كل بلاد ، بل وفرض نفسه على كل الذين يريدون أن يكتبوا عن بلادهم ، فهم إلى معلوماته يلتجئون ، وهم على أرقامه وأوصافه يعتمدون .

وبودِّنا بعد هذا أن نتساءل عن مدى استفادة إخواننا علماء ايران من رحَّالةٍ كان من أقوى الجسور التي ربطت بهم حيث تغلغل في بلادهم .. في ظروف فاتت فيها على المؤرخين الملاحظة ، وضاع على الملاحظين

(13) الرحلة ج 2 ، ص 65 .

التاريخ ! فكان ابن بطوطة **الغريب الوحيد** الذي أمكنه أن يسجل مذكراته عن هذه الديار بتجرد وإنصاف ...

لقد فوجئت حقا أن أكتشف أن الإستفادة من ابن بطوطة لتدوين تاريخ ايران كانت جد محدودة بل إنها لا تذكر إزاء ما اعتدنا قراءته من اعتماد الآخرين عليه في البلدان الأخرى : في السودان ومالديف ، وسيلان ، وأفغانستان ، والاتحاد السوفيتي[14] . مع أن في المصادر الايرانية من يعتمد على حكاية الرحالة الإيطالي **ماركُوبُولُو** دون ما أن يلتفت إلى ابن بطوطة ...

وقد حاولت أن أجد سببا لهذا الاهمال ، وهل أنه ناشيء عن شعور ابن بطوطة « المناهض » للمتشيّعين ؟ أم أنه ناشيء فقط على أن الرحلة كتبت باللغة العربية ، وأنها كانت بحاجة لمن يحولها إلى اللغة الفارسية للاستفادة منها على الوجه المطلوب ؟

لقد ظل ابن بطوطة يتقفّى آثار الشيعة وأفكارهم ...وظل مصرّاً كما عرفنا على نقدهم وعلى نعتهم **بالروافض**[15] بالرغم من أنه نشأ في البيئة المغربية المعروفة بتعلقها الزائد بآل البيت وبالإمام علي رضي الله عنه بصفة خاصة حتّى لاعتبرت الأسرة المغربية عند آخرين من الغلاة في ذلك ، وحتّى لاتهمت بأفدح التهم وهي تغرق في التوسل برسول الله وآل بيته ،

---

(14) د. التازي : مع ابن بطوطة من البحر الأسود إلى نهر جيحون .
مجلة **المناهل المغربية**، العدد الثاني صفر 1395 ، مارس 1975 ، وزارة الدولة للشؤون الثقافية .

(15) سمّوا روافضة لأنهم رفضوا زيدا بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب وتركوا الخروج معه حين سألوه عن أبي بكر وعمر فلم يجبهم إلى ذلك ، وكان زيد بن علي قال عن أبي بكر وعمر... إنهما صحبا رسول الله ﷺ وهاجرا معه وجاهدا في الله حق جهاده وما سمعت أحدا من أهل بيتي تبرأ منهما ... لكن الشيعة قالوا لزيد : إن برئت منهما وإلا رفضناك ! فقال زيد اذهبوا فإنكم الرافضة ... فجرى عليهم هذا الإسم .
ابن نشوان الحميري (تـ 573) : الحور العين ، 1972 ص 184 — 185 .

ولكن كل هذا لم يمنع المغاربة أن يضعوا علامات استفهام حول ما يروى عن بعض الشيعة ...

لقد كانت (قُمْ) في فارس وبلاد ادريس في فاس المعقلين اللذين يغلب عليهما على ما يقول البلخي[16] ، التشيع في العالم الإسلامي ، بيد أن الموقف لم يلبث أن تغير بسبب تغلب المروانيين بالأندلس على النفوذ الفاطمي في الشرق .

وقد تبع هذا إجماع المغرب على مذهب واحد هو المذهب المالكي ، فإن جوار المغاربة للصليبيين المتربصة ، كان يقتضي توحيد الرأي والصف ومن ثمت عادوا لا يعرفون عن المذاهب الأخرى إلا ما يروج في إطار البحث العلمي .

ومن أجل ذلك فإننا لا نستغرب موقف ابن خلدون من قضية صاحب الزمان أو المهدي المنتظر[17]... ولا نستغرب حديث ابن بطوطة عن صاحب الزمان كذلك ، هذا عندما زار الحِلَّة وسامراء **وحديثُه أيضاً عن ليلة المحْيا** في النجف ...حيث سمع الناس يرددون : لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلي ولي الله[18] ! وتحديّه لمن حركوا منارة مسجد الإمام علي

---

(16) الحور العين ص 272 .

(17) ابن خلدون : المقدمة ص 352 طبعة دار الكتاب اللبناني . ونشير بهذه المناسبة إلى رسالة الشيخ بن جعفر الكتاني الذي ردّ فيها على المقدمة قائلا : «فليذهب ابن خلدون إلى تاريخه !» .

(18) يقول ابن بطوطة عن ليلة المحيا إن الناس يأتون ليلة 27 رجب إلى روضة الإمام عليّ بكل مُقْعَد من العراقين وخراسان وبلاد فارس والروم . فإذا كان بعد العشاء جعلوا فوق الضريح والناس ينتظرون إعادة الحركة للمقعدين . فإذا مضَى من الليل نصفه أو ثلثاه قام الجميع أصحاء وهم يقولون : لا إلاه إلا الله محمد رسول الله عليٌّ وليّ الله ... الرحلة 1 ، 417– 418 .

في البصرة[19]... وأخيرا حديثه عن العلويين في سوريا[20]...

ولكن كل هذا لا يصح أن يكون مبررا لابتعاد العلماء عن الرحلة. فإن النضج الذي بلغ إليه التفكير لا يسمح بذلك فيما نعتقد. ولهذا فإننا نؤمن بأن هناك دخلا لقضية اللغة في صرفنا عن بعضنا...فكم هنا من روائع فارسية حرمنا منها نحن المتكلمين بالعربية. وكم من خرائد حررت بلغة الضاد فاتت هنا على المثقفين بالفارسية...يضاف إلى كل هذا عنصر هام جدّاً وهو أن الرحلة ذاتها لم يشتهر أمرها إلا عندما نشرت في باريز مصحوبةً بالترجمة الفرنسية أواسط القرن التاسع عشر (1853 — 1858).

فكيف عرفت الرحلة طريقها إلى طهران؟ وكيف ترجمت إلى اللغة الفارسية، وكيف بعد هذا أخذت تفرض نفسها على الذين يؤلفون عن تاريخ ايران؟

تلك هي **القصة المطرفة** التي نفترض وقوعها كما يلي:

لقد ظهرت في تهران شخصية علمية سياسية على عهد السلطان ناصر

---

(19) كان لمسجد البصرة سبع صوامع إحداها تحرك عند ذكر الإمام علي رضي الله عنه صعد إليها ابن بطوطة صحبة بعض أهل البصرة فوجد في ركن من أركانها مقبض خشب مسمّرا فيها فجعل الرجل الذي كان صحبته يده في ذلك المقبض قائلا: بحق رأس أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه تحركي! وهز المقبض فتحركت الصومعة، وهنا جعل ابن بطوطة يده في المقبض قائلا: وأنا أقول بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ تحركي! وهزَّ المقبض فتحركت الصومعة. الرحلة 2، 12.

(20) كان الأمر يتعلق بالطائفة النصيرية التي يسكن معظمها على السواحل الشامية وهم يعتقدون أن عليا بن أبي طالب إلاه! وهم على ما يروي ابن بطوطة لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون... وكان الملك الظاهر ألزمهم بناء المساجد بقراهم فبنوا بكل قرية مسجدا بعيدا عن العمارة ولا يدخلونه، وربّما آوت إليه مواشيهم ودوابهم وربما وصل الغريب إليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له: **لا تنهق علفك يأتيك!** الرحلة 1، 176.

الدين شاه . ويتعلق الأمر بمحمد حسن خان . الذي لم يلبث أن عرف بصنيع الدولة قبل أن يحمل اللقب الذي لزمه أواخر حياته وهو «**اعتماد السلطنة**» .

لقد راح إلى باريز في عهد نابليون الثالث وهناك تخصص في الآداب واللغة الفرنسيّة ودرس التاريخ والجغرافية ، وكان يشغل منصب الملحق بسفارة ايران بباريز ابتداء من عام 1280 — 1864 وهكذا تحسنت معارفه في الفرنسية إلى جانب اللغة العربية التي كان يعرفها ...

ولم يلبث اعتماد السلطنة أن عاد الى بلاده عام 1284 = 1868 حيث تبوأ مناصب في الدولة وعهد إليه برئاسة دار الترجمة في البلاط والتشريفات كذلك ، وقد سمّي (وزير انطباعات) أي مؤرخا للمملكة فيما يبدو ...

هنا نقول إنه لا يخامرنا الشك في أن اعتماد السلطنة وهو يقيم بباريز ضمن السلك الدبلوماسي لم يكن بعيدا عن أصداء المغرب الأقصَى بعد أن انتزعت فرنسا الجزائر من يد الأتراك العثمانيين وبعد أن أخذت تمهد للانقضاض على المملكة المغربية ...ومن هنا نفترض أنه اقتنَى رحلة ابن بطوطة التي كانت قد ظهرت بباريز ، حيث أخذ يطالع عن انطباعات هذا الرحالة المغربي عن بلاده ايران وعن البلاد المجاورة ...

وبالنظر لما أثر عن «اعتماد السلطنة» من شغفه بالتأليف(21) وحرصه على تسجيل المذكرات فقد أخذ يخطط لوضع تأليف جديد له بعنوان « مرآة البلدان » يعتبر بمثابة معجم يعرف فيه بالمواقع والمسالك ...وكان في أبرز الكتب التي أحضرها للاستشارة رحلة ابن بطوطة التي يظهر أنها أخذت بمجامعه بما تحتوي عليه من حقائق عن الفترة فيما بين الفتح المغولي

---

(21) ذكرت لاعتماد السلطنة مؤلفات كثيرة منها شجرة قاجار . وقصة زمرد سلطان كشف معايب انكليس — روزنامه خاطرات اعتماد السلطنة/ تهران 1345 .

إلى ظهور تيمورلنك ...

وقد ظهر مؤلف جديد عن المغرب. وفي هذه المرة بمصر سنة 1312 = 1895 فحصل عليه «اعتماد السلطنة» بوسائله الخاصة وأخذ يخطط لترجمته إلى الفارسية ولم يكن هذا الكتاب — فيما أعتقد — سوى الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى الذي ألفه الشيخ الناصري السلاوي.

وهكذا قيض الله للدولة القاجارية عالما متنفذا يقوم بتقديم المملكة المغربية إليها عن طريق الرحلة وطريق الاستقصا. كان هذا العالم المتنفذ يشبه إلى حد كبير المؤرخ المغربي النقيب مولاي عبد الرحمن ابن زيدان ...

وإذا كانت أخبار الكتاب الأخير قد تعثَّرت لأنه أي المؤلف لم ترضه المحاولة الأولى، فعمد إلى إتلافها على أن يستجمع أنفاسه ليعيد الكرة ويترجم المجلد الأول بكامله ... فإن أخبار رحلة ابن بطوطة وجدت صداها بطريقة أوسع من (تاريخ المغرب) عندما قام بترديد اسمها وأخبارها في المجلد الأول من كتابه (مرآة البلدان).

فعلا قرأنا تقديم ابن بطوطة ورحلته بصفة مختصرة عند وصول المؤلف (في حرف الألف) إلى الحديث عن أصفهان حيث وجدناه يعتمد على الرحالة المغربي فيما يقدمه من معلومات ... وهكذا كان الأمر عن الحديث عن المدينة التاريخية إيذج، وعن البصرة وعن بغداد وبلخ وعن جماعة سربداران وعن السلطان أبي سعيد بهادر... وعن الأمير علاء الدين الذي رافقه ابن بطوطة إلى مدينة تبريز ثم عن المدينة العالمة تُستر أو ششتر حيث نراه ينقل بالحرف ما أورده ابن بطوطة ...

كل هذا لابد أن يكون قد أثار استطلاع مثقفي ايران لمعرفة المزيد عن هذا الرحالة المغربي الذي تناول المدن الايرانية بالحديث.

فكيف وجدت الرحلة بعد ذلك صداها بعد أن ضربت السكتة القلبية

«اعتماد السلطنة» بتاريخ 19 شوال 1313 / 28 مارس 1896 ؟

«لقد تعرفتُ لأول مرة على اسم ابن بطوطة وعلى نوادره وطرائفه في الوقت الذي طالعت فيه كتاب (مرآة البلدان) للمرحوم «اعتماد السلطنة»... وقد كنت حديث عهد بالدخول إلى الثانوية حيث توفرت لدي رغبة كبيرة في مطالعة كتب التاريخ ...» .

هكذا يقول الدكتور محمد علي موحد في مقدمته **للترجمة الفارسية لرحلة ابن بطوطة** التي ظهرت بتشجيع من اليونيسكو في تهران لأول مرة سنة 1348 ـ 1930 تحت عنوان (سفرنامه ابن بطوطة) . لقد استفاد «اعتماد السلطنة» في تأليفه (مرآة البلدان) الذي لم يتم مع الأسف من رحلة ابن بطوطة في بعض المقاطع[22] يقول الدكتور موحد .

كان عملاً رائعا ذلك الذي قدمه د. موحد إلى قراء اللغة الفارسية[23] فلقد رفع الحجاب عن مصدر بالغ الأهمية بالنسبة لتاريخ ايران ودولة فارس وأصبحنا نقرأ منذ هذا التاريخ نقولاً عن ابن بطوطة في المؤلفات والدوريات والنشرات .

وهكذا فبالرغم من أنه أضرب عن ترجمة استدراكات ابن جُزي فإنه كد وصبر وصابر فأتى على الرحلة في مجلدين اثنين ... يحلي كلام الرحالة المغربي في بعض الأحيان بهوامش مفيدة ... كان يستقيها في الغالب من تعقيبات البروفيسور هاميلتون جيب (H. Gipp) الذي قام بترجمة الرحلة

---

(22) لقد تمكنت أثناء مقامي الأخير في طهران بصعوبة من الاتصال هاتفيا بالدكتور موحد الذي أكد لي سائر الإفتراضات السابقة التي تخيلتها لوصول الرحلة إلى العاصمة الايرانية ولكنه اعتذر عن الاتصال بي نظرا للظروف التي توترت .

(23) يضاف هذا الصنيع من د. موحد إلى صنيع جميل آخر ، وهو ترجمة رحلة ابن بطوطة إلى التركية في مجلدين ومجلد ثالث خصص للفهارس لعصمة طرمكسز أغلو ... على ما أفاده الزميل البروفيسور عدنان أرزي ...

إلى الأنجليزية لأول مرة عام 1928 وقد يشحنها تعريضا بابن بطوطة عدو الشيعة كما ينعته د. موحد!

فهل بعد هذا حظيت الرحلة أو بالحري القسم الخاص منها بايران ، بدراسة دقيقة تبرز ما كان خفيا إلى الآن من تاريخ المنطقة؟

لقد اقتصرت استفادة الكتاب والمؤلفين على بعض الجوانب من الرحلة ، كلٌّ كان يستفيد حسب ميوله وحسب اهتمامه.

وهكذا فعلاوة على استفادة (لغت نامه) الموسوعة اللغوية الايرانية من بعض ما كتبه ابن بطوطة[24]... وجدنا الشيخ عباس ممن يستفيد منها في كتابه «مفاتيح الجنان» في معرض حديث ابن بطوطة عن كرامات روضة الإمام علي في النجف الأشرف حيث يذكر أنه في ليلة السابع والعشرين من رجب التي تسمَّى عندهم (ليلة المحْيا) يوتي إلى تلك الروضة بكل مُقْعَد في العِراقَيْن وخراسان وبلاد فارس والروم فيجتمع مثلا ، الثلاثون والأربعون ونحو ذلك ، فإذا كان بعد العشاء الأخيرة جُعلوا فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصل وذاكر وتال ومشاهد للروضة فإذا مضَى من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع أصحاء من غير سوء وهم يقولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله» وهذا أمر مستفيض عندهم — يقول ابن بطوطة — إلا أني لم أحضر تلك الليلة ، لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم والثاني من أصفهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم عن شأنهم فأخبروني أنهم لم يدركوا (ليلة المحيا) وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر... ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه

---

(24) تعبر موسوعة (لغت نامه) من أروع المجموعات التي أدت لايران خدمة جلى وقد كانت في البداية من عمل علي أكبر دهخدا... وتستمر الآن في أداء رسالتها حيث وصلت إلى حرف الميم ، ويشرف عليها اليوم الأستاذ ، الدكتور سيد جعفر شهيدي.

المرض فينذر للروضة نذرا إذا برئ ، ومنهم من يوجعه رأسه فيضع رأسا من ذهب أو فضة ويأتي به إلى الروضة فيجعله النقيب في الخزانة . وكذلك اليد والرجل وغيرها من الأعضاء ... وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرته[25] ...

وقد استفاد منها لطف الله هَنرفَر في كتابه «كَنجينه آثار تاريخي أصفهان» حيث وجدناه يردد إسم ابن بطوطة في عدد من الصفحات سواء في صلب الكلام أو في الهامش[26] .

وفي كتابه «حول تاريخ المغول» لعباس إقبال اشتياني : «تاريخ مفصل ايران أز استيلائي مغول تا إعلان مشروطيت ...» ذكر رحلة ابن بطوطة على أنها مصدر يتوفر على كثير من المعلومات حول تاريخ المغول[27] ...

ومن المصادر الفارسية التي اعتمدت الرحلة كتاب (تاريخ كرمان) لأحمد علي خان وزيري كرماني عندما كان يريد أن يشرح مصطلح «الأخوة» في حدود آذربيجان على ذلك العهد[28] .

وقد ظهر بمجلة (هُنَرومَرَدُم) — الفن والشعب — عدد 61 — 62 لسنة 1346 = 1967 مقال عن أصفهان يعتمد على رواية ابن بطوطة ، وكان بعنوان «ابن بطوطة جها نكَرِ دي در قرون وسطى أز اصفهان ديدن كرده است» ، وقد نشر هذا المقال بمناسبة زيارة الأستاذ الرئيس علال الفاسي رحمه الله إلى ايران ..

ولكن أحدا لم يتصدَّ إلى الآن — على ما في علمنا — لمرافقة ابن بطوطة في زياراته الخمس لأقاليم ايران متقفيا خطاه من قرية إلى أخرى ومدينة

---

(25) مفاتيح الجنان ص 203 — الرحلة 1 ، 417 .

(26) راجع صفحات : 278 — 280 — 282 — 296 — 398 — 893 .....

(27) راجع صفحة 493 من الكتاب المذكور .

(28) راجع صفحة 181 — 420 ، راجع ابن بطوطة 2 ، 289 — 292 .

إلى مدينة معرفا بالمواقع محددا لخطوط السير.

وقد أحببت أن أقوم بهذا العمل تحية لروح الأستاذ علال الفاسي ذكرى للأيام التي قضيتها في ايران متنقلا بين جنباتها في الشمال والجنوب.

* * * *

ولابد لكي نرافق الرحالة المغربي في ايران ومع أحداث ايران ... أن نعرف قليلا عن الظروف السياسية التي كانت تعيشها البلاد عندما كان ابن بطوطة يعبرها جنوبا وشمالا، شرقا وغربا.

وَليس القصد أن نوغل في الحديث عن تلك الظروف التي يمكن أن نرجع إليها في مصادرها، ولكن القصد أن نعطي فكرة مجملة للذين يهمهم أن يتقصوا الخلفيات حتّى يتمكنوا من معرفة أكثر وأشمل لما يجد في الساحة من قضايا مختلفة انطلاقاً من أن استيعاب الحاضر يتوقف إلى حد كبير على النظرة إلى الماضي...

يعتبر كوروش بزرك أول ملوك ايران الذين استقلوا بالبلاد منذ سنة 550 ق.م[29]، وهو ينتسب للملوك الكيانيين[30] أو الأكمنيين (هخامنشي) الذين استمروا في الحكم إلى أن داهم الأسكندر المقدوني بلادهم (331 = 323)[31] في أعقاب «تجاسر» الفرس على انتهاك حرمة أثينة !

---

(29) يتحدث بعض المؤرخين الإيرانيين قبل سلطنة فارس عن سلطنة إيلام (Elam) ومركزها سوس (Suse) وعن سلطنة الميديين (Les Medes) ومركزها همدان الذين نشروا (المزدكية) (Mazdisme) في المنطقة... وعن امبراطورية آريا (Aryen)

(30) نسبة إلى كلمة (كي) لقب الملوك الكيانيين وتبتدئ بها سائر أسماء ملوكهم مثلا: كيخسرو كي أرس، كي أرمين... الشاهنامة ص 99 – 101.

(31) نقشت على لوحة مقبرة كوروش عبارات ترجمت إلى اليونانية هكذا: أيها الرجل مهما كنت ومن حيث أتيت ... اعلم أنني انا كوروش أوجدت للفرس هذه البلاد الواسعة. فلا تبخل علي بهذه الأرض الصغيرة التي تضمني. مجلد الإخاء 17 يوليه 1977.

ولقد أمسَى الأسكندر يخاف من الكيانيين على بلاد الروم ــ إذا مات ــ فعزم على أن لا يترك منهم أحدا ! ولكنه قبل أن يقوم بهذه الإبادة الجماعية فكر في أن يستشير صديقه الفيلسوف أرسطو حول ذلك الهاجس ... لكن الصديق أجابه بضرورة الكف عن الناس ناصحا إياه «أن لا يزرع في ملكه غير الحُسنى» و«أن يتجنب غرس العداوة في القلوب» إلى آخر ما ورد في خطاب الجواب ...

ونتيجة لهذه النصيحة فكر الأسكندر في خطة ثانية تريحه وتريح بلاد الروم من انتفاضة محتملة لبلاد فارس ، وكانت هذه الخطة الشيطانية أنه عوض استئصال الكيانيين أجمعين يكفي أن يقسم البلاد والأقاليم بين زعمائهم مخطِّطاً بذلك لتمزيق الكلمة وتفتيت القوى وتبديد الجهد ... وهكذا عرف تاريخ ايران منذ الأيام الأولى ما سمي بالإمارات المحلية أو ملوك الطوائف ومن هنا قرأنا عن نحو من تسعين مملكة في ايران إن لم تكن أكثر من ذلك ... وهكذا توالت دولة السلوقيين (330ق.م ــ 247 ق.م) ودولة الأشكانيين أو الأرساسيين (247 ق.م ــ 225 ق.م) الذين امتدت حدود مملكتهم من بحر قزوين إلى هندوكش (أفغانستان) الحالية ، هذا إلى دولة الساسانيين التي قويت شوكتها وامتدت أيامها منذ 225 ق.م إلى سنة 30هـ/ 651م ، عندما استسلم يزدگرد أمام حذيفة بن اليمان في معركة نهاوند .. هنا اعتنقت ايران دين الإسلام وتبعت لخلفاء حضرة الرسول الأكرم ... ولم يعد غريبا علينا أن نسمع من الآن عن قادة لايران يحملون أسماء إسلامية بعد أن كانت تحمل بالأمس أعلاما أخرى ترمز إلى العهود الذاهبة ...

ولم تلبث البلاد أن غدت تابعة للسلطة المركزية في الجهة الثانية ، إن في الشام أيام خلافة بني أمية ... أو في بغداد أيام خلافة بني العباس ...

وقد عمل بعد المسافات بين العاصمة والأقاليم النائية على «حنين»

بعض الزعامات إلى مخطط الأسكندر ـ الذي كما علمنا ـ رأى تقسيم البلاد إلى ممالك ! وهكذا عشنا حركات مغامرة هي ولو أنها أقرب إلى الإنفصالية منها إلى التبعية ، لكنها ظلت ـ لحسن الحظ ـ تستمد تزكيتها وسندها من بغداد نظرا لكون الشعوب نفسها كانت تؤمن بقدسية الخلافة ولا تريد أن تنساق إلا مع الذين يحترمون السلطة المركزية .

وقد ظهر من تلك الإمارات المغامرة الطاهريون ثم الصفاريون ، وظهر كذلك الساقانيون وآل زيار وآل ديلم (أو البويهيون) والغزنويون[32] والسلجوقيون ، ثم أخيرا الخوارزمشاهية .

ولقد غير احتلال ايران من طرف المغول ، ثم السيطرة على بغداد عام 656 = 1258 من قبل هولاكو (Hulagu) حفيد جنكيز خان (Tchanguiz Khan) غيَّر بصفة جذرية الخريطة السياسية للأقاليم التابعة للخلافة العباسية في بغداد .

وهكذا فإن الأمراء والعمال الذين كانوا «يمثلون» السلطة المركزية في تلك المناطق الشاسعة لم يعودوا بحاجة في تنصيبهم إلى «تشريع» صادر عن بغداد ، إن الخلافة راحت !

لقد أصبح الحكام المغول يحملون لقب الإيلخانيين وكان لهم في تولي الحكم نظام وراثي ، وفي نفس الوقت انتخابي ، وراثي لأن الحاكم لابد أن يكون من المنحدرين مباشرة من درية جنكيزخان ، انتخابي لأنه لابد اضافة إلى هذا من اتفاق الرؤساء المغوليين على تنصيب الحاكم ... لكن البلاد لم تلبث أن عادت **أواخر دولة الإيلخان** إلى نظام «الإمارات المحلية»

---

(32) كان من أبرز ملوك الغزنويين (999 ـ 1140) السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين الذي «جمع بين الذئب والحمل على موارد المال» وعلى شرفه نظم أبو القاسم الفردوسي (الشاهنامة) بالفارسية لكي يعطيه نظرة عن ملوك ايران القدامى ويقارنه بهم في المزايا والمحامد والأمجاد ... الكتاب ترجم للعربية نثرا ، ونشره ذ. عبد الوهاب عزام ، أعيد طبعه بالأوفست في طهران 1970 .

أو «ملوك الطوائف» وهكذا تعرفنا على عدد من هذه الإمارات التي تناثرت في البلاد طولا وعرضا[33] ؛ فعلاوة على ملك بغداد هناك إمارة لورستان (الأتابكة) ، وإمارة شيراز ، وإمارة يزد ومملكة هرمز وجمهورية ساربيدار ... في هذه الظروف أي في أواخر دولة الإيلخانيين ... **ومع طلائع عهد الإمارات المحلية قام ابن بطوطة بزياراته الخمس إلى ايران ...**

(33) لم تستيقظ تلك الإمارات المتضاربة فيما بينها إلا عندما ظهر في الساحة الشرقية القائد المشهور تيمورلنك ... وقد توالت الحكم بعده دولة الصفويين الذين حاولوا عبثا استجلاب المغرب ضد العثمانيين قبل أن يهيمن الأفغان لفترة عشر سنوات ، ثم الافشارية ثم الزندية . ثم القاجارية إلى أن استبدت بالحكم عام 1925 أسرة بهلوي قبل أن تقصيها عن الحكم ثورة بداية عام 1979 .

الزيارة الأولى 1327/727

قصد ابن بطوطة أرض ايران في بادئ الأمر من الجهة الجنوبية الغربية[34] حيث وجدناه – بعد قضاء مناسك الحج لأول مرة (ذي الحجة 726 = نونبر 1326) وزيارة لقبر الرسول ﷺ بالمدينة ثم زيارة مشهد الإمام علي في النجف – يأخذ **صنبوقا**[35] من ساحل أبلة[36] البصرة أوائل ربيع الثاني 727 = أوائل مارس 1327 حيث ركب فيما بعد الغروب الخليج «الخارج من **بحر فارس**»[37] **على حد تعبير** الرحالة المغربي ... وقد استقبله الصباح في (عبادان)[38] حيث يتحدث ابن

---

(34) ابن بطوطة 2 ، 18 – 93

(35) صنبوق يجمع على صنابيق ، عبارة عن مركب صغير ذي جؤجؤ مرتفع مزود بشراع . اخترع من لدن العرب ابتداءً من القرن السابع الميلادي ، ودخل البحر المتوسط في نهاية القرن التاسع .

(36) يتحدث ابن بطوطة عن (الأبلة) (Apologos) فيذكر أن بينها وبين البصرة عشرة أميال ، حيث يوجد بين المدينتين متعبد سهل ابن عبد الله التستري (تـ أواسط القرن الثالث) وقد كانت الأبلة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس . فخربت وهي الآن – يقول ابن بطوطة – قرية بها آثار قصور وغيرها دالة على عظمها ، ويذكر علماء الآثار أن الأبلة كانت حيث موقع البصرة الحالية ، وأنها كانت فعلا الميناء الأساسي لهذه الناحية من الخليج إلى أن تأسست مدينة البصرة من لدن العرب سنة 18هـ= 639 .

(37) سنرى ابن بطوطة ينسب هذا الخليج أحيانا **لفارس** (درياي فارس) وأحيانا **للهند** بينما يستمر على نسبة الشط إلى العرب ... ونحن نعلم أن الخليج يحمل عند الجغرافي المغربي الشريف الإدريسي إسم **الخليج الأخضر** ، في كتابه نزهة المشتاق ، وهو الإسم الذي يعطيه المؤرخ الإيراني ابن بلخي كذلك للخليج المذكور ، ومعلوم أن ابن بلخي عاصر محمد ابن ملك شاه السلجوقي فهو من رجال القرن الخامس .. ابن بطوطة 1 ، 453 – لغت نامه . حرف الباء ... مرآة البلدان **لاعتماد السلطنة ص 176 مادة بحر فارس** ...

(38) أورد ابن جزي أبياتا قيلت في عبادان التي تحتوي اليوم على مصافي النفط :

من مبلغ أندلسا أنني ... حللت عبادان أقصى الثرى !
أوحش ما أبصرت لكنني ... قصدت فيها ذكرها في الورى
الخبز فيها يتهادونه ... وشربة الماء بها تشترى !

بطوطة عن عدد من الرباطات التي عرفتها المدينة منذ القرن الثالث الهجري وعن خلوة إلى سيدنا الخضر[39] والياس وعن زاوية بجانبها يقوم أهلها على صيانة الخلوة وتعهدها ... وهنا في عبادان انصرفت همته للتعرف على ناسك منقطع للعبادة دعا لابن بطوطة بأن يبلغه الله إلى مراده في الدنيا والآخرة .

ولم يتردد الرحالة المغربي في الكشف عن المراد الذي كان يطمح إليه في هذه الدنيا والذي لم يكن غير السياحة في أرض الله ...! فعلا لقد قطع في جولاته طيلة ثلاثين سنة أكثر من مائة ألف كيلوميتر! ولم تفته الملاحظة وهو يقضي ليلته في تلك الزاوية مع رفاقه بأن هناك في عبادان موظفين مرصودين عهد إليهم بأسراج مساجدها وإنارة زواياها ..!

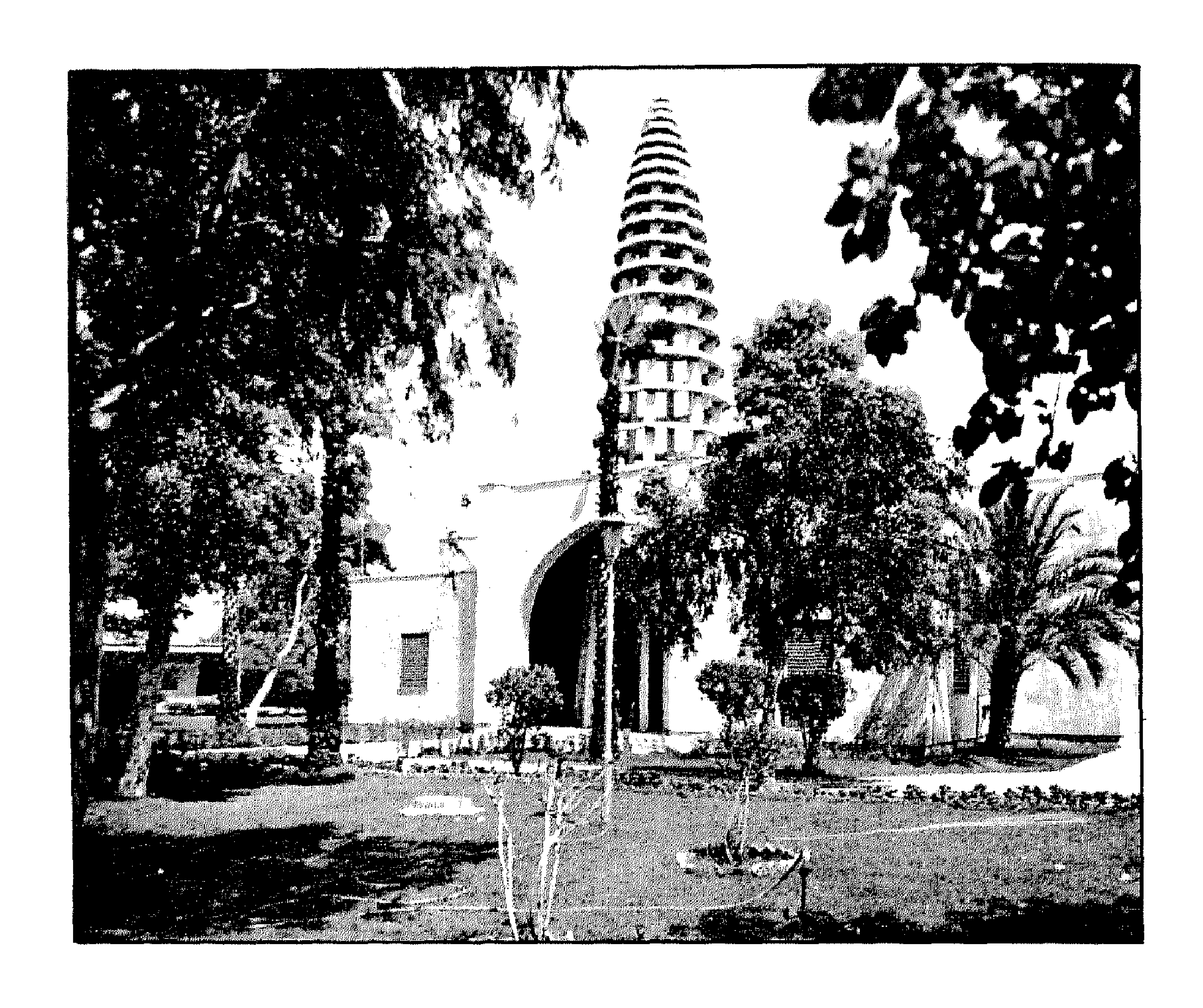
وغداة اليوم الموالي غادر عبادان قاصدا بلدة **ماجول** (بندر ماهشهر) على ساحل الخليج وهنا ــ وفي سطور قليلة ــ يكشف ابن بطوطة عن أن منهاج الرحلة كان زيارة بغداد بعد البصرة والعودة من نفس الطريق التي أتى منها لبلوغ العاصمة ، إلا أنه فضل أن يغير المنهاج ولو طال حتَّى يحقق قاعدته التي يتبعها عند السفر والتي يلخصها في العبارة التالية : «**ومن عادتي في سفري أن لا أعود على طريق سلكتها ما أمكنني ذلك !**» .

وهكذا اكتشفنا أن هذه الحركة الأولى كانت تهدف لزيارة لورستان وعراق العجم قبل الإلتحاق بعاصمة عراق العرب ...

لقد وصل ابن بطوطة بعد أربعة أيام إلى بلدة ماجول[40] السالفة الذكر التي يقول إن سوقها من أكبر الأسواق .

---

(39) لا شك أن هناك علاقة بين وجود خلوة الخضر هنا وبين مجمع البحرين الوارد في القصة القرآنية الرائعة لموسَى والخضر (السورة رقم 18 آية رقم 64) .
(40) ماجول هو بالذات بندر ماه شهر أو معشور ، بلدة صغيرة على ساحل الخليج ...



عبادان ـــ المتحف

وبعد قضاء يوم واحد في ماجول رأينا الرحالة يستأجر دابة يسير عليها مسيرة ثلاثة أيام في صحراء يسكنها الأكراد في خيام من الشعر قبل أن يحل بمدينة (رامز)[41] ، وكما كان ابن بطوطة حريصا على أن يجد تشابها بين البربر والعرب عندما كان في (عُمان) رأيناه هنا يردد القول بأن أصل الأكراد عربي كذلك ...

وجد الرحالة مثواه تلك الليلة لدى قاضي المدينة حسام الدين محمود حيث تعرف على العالم الهندي بهاء الدين إسماعيل الملتاني الذي أخذ على مشايخ مدينة تبريز أو توريز كما يسميها ابن بطوطة.

وفي اليوم الموالي رحل عنها حيث قضى ثلاثة أيام متنقلا في بسيط يشتمل على قرى يسكنها الأكراد ، وتحتوي كل قرية فيها على زاوية مخصصة لايواء الواردين وإطعامهم وخدمتهم ...

لقد وصل بعد الأيام الثلاثة إلى مدينة تستر[42] التي قدمها تقديما طريفا ، فهي آخر بسيط الأتابكة وأول بداية المنطقة الجبلية ، وهي كبيرة نضيرة ذات بساتين ورياض وأسواق ... فتحها خالد بن الوليد ... وإليها

---

(41) رامز ، مخفّف رامهُرمُز ، وهي كما نرَى في خوزستان بين شوشتر وبهبهان ...

(42) تعرب تستر إلى (شوشتر) وقد خصص اعتماد السلطنة فصلا ممتازا لتقديم هذه المدينة الجليلة القدر ، التي ظلت منذ أن افتتحها العرب حوالي سنة 42 = 662 ملاذا للعلماء ورجال الفضل وحملة الأقلام وقد أسهم في تشييد بعض مؤسساتها (السدّ وخزان الماء) الإمبراطور فاليريان وجنوده الذين كانوا في الأسر ومن ثمت جاء الإسم الفارسي (سد قيصر) (Band-e Qésar)

ومن أشهر المنتسبين إلى تستر (سادات جزائر) أو السادة النورية ... وفي مقدمتهم السيد نعمة الله الموسوي الحسيني صاحب كتاب (زهر الربيع) الذي سكنها مدة من الزمان والذي كان يعاصر سلطنة شاه سليمان الصفوي (1667 ــ 1694) وقد استهوت المعلومات التي قدمها ابن بطوطة اعتماد السلطنة فنقلها بحذافيرها في كتابه مرآة البلدان المجلد الأول ــ حرف التاء.

ينتسب سهل بن عبد الله الذي كان قد زار ابن بطوطة قبره في البصرة ... يحيط بها نهر عجيب عميق معروف باسم النهر الأزرق ... لها باب واحد للمسافرين يحمل اسم **باب دزفول**(43) ولو أن لها أبواباً أخرى غير شارعة إلى النهر المذكور، وعلى ضفتي النهر غرست البساتين وأنشئت الدواليب(44)، وقد نصب على المياه جسر على القوارب هو باب المسافرين، على نحو الجسر الذي يوجد في بغداد والحِلة ...

ويتحدث ابن بطوطة عن تربة مقدسة بهذه المدينة تحتضن، فيما يقال جدث زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والناس من أجل ذلك يقصدونها للزيارة ونذر النذر...

وكما عودنا ابن بطوطة، فقد وجد في (مدرسة الشيخ شرف الدين الشوشتري) منزلا له في المدينة الجميلة طيلة ستة عشر يوما ... ولقد أعجب الضيف بنظام المدرسة ... حيث وجد ان لها ناظرا للأوقاف ومقتصدا للنفقات وخديما للسماط(45) ومشرفا على الطباخين والفراشين ... ولم يفت ابن بطوطة أن يقدم وصفا للصحون المقدمة التي كانت تعتمد كما هو الشأن اليوم على الأرز والدجاج، والخبز واللحم ... ثم الحلواء والفواكه كختام ...

وقد أعطَى ابن بطوطة صورة مطرفة عن الحياة الثقافية في هذه

---

(43) لعل التسمية آتية من أن الباب المذكور يتجه الخارجون منه إلى المدينة التي توجد على بعد نحو من عشرة أميال شمال غربي تستر على وادي يحمل كذلك اسم دزفول ...

(44) يروي نعمة الله الموسوي الحسيني في كتابه «زهر الربيع» أن أبا نواس قال في الدواليب أي النواعير التي تعمل في مدينة تستر لرفع الماء من قراره إلى البساتين المرتفعة، وهو من أجمل ما قيل:

ودولاب روض بعدما كان أغصنا ... تميس، فلما مزقته يد الدهر
تذكر عهداً بالرياض فكلها ... عيون على أيام عصر الصبا تجري!

(45) من الألفاظ الجميلة الخفيفة لتعريب (ميتر دوطيل). — نعمة الله الموسوي: زهر الربيع طبعة 1341 ص 63.

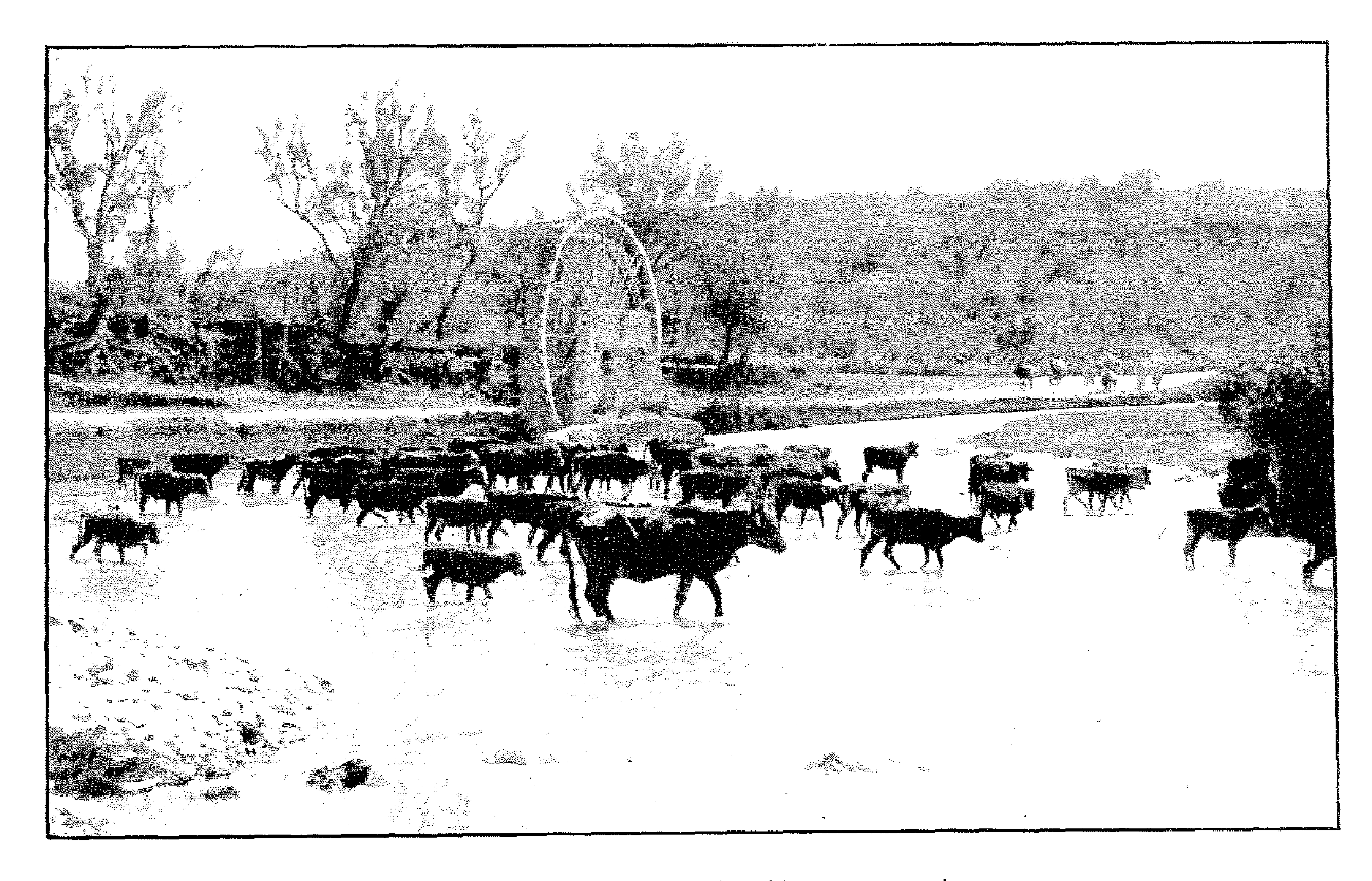
المدينة ... فلقد حضر بعد صلاة الجمعة بالمسجد مجلس وعظ للشيخ الشوشتري الذي استصغر أمامه الرحالة المغربي كل الذين رآهم إلى اليوم سواء في الحجاز أو بالشام أو مصر... كما أنه أي ابن بطوطة حضر أحد مجالس الشيخ الشوشتري على شاطئ «النَّهر الأزرق» حيث اجتمع فقهاء المدينة وكبراؤها ، وحيث أنشدت التلاحين المبكية والنغمات المهيّجة قبل أن يلقي خطابا جامعا من فنون العلم في تفسير القرآن وشرح الحديث...

وهنا تطارحت على الشيخ الرقاع من كل ناحية وكانت تتضمن استفسارا أو استفتاء حيث أخذ الأستاذ يجيب عنها واحدة واحدة على نحو ما نراه اليوم عندما يمطر المستمعون الأستاذ المحاضر في قاعة كلية مثلا بالأسئلة المختلفة ... وقد كان ختام المجلس مثول التائبين الواردين على الشيخ الذي أخذ عليهم العهد بعد أن جزَّ نواصيهم علامة على رضاه .

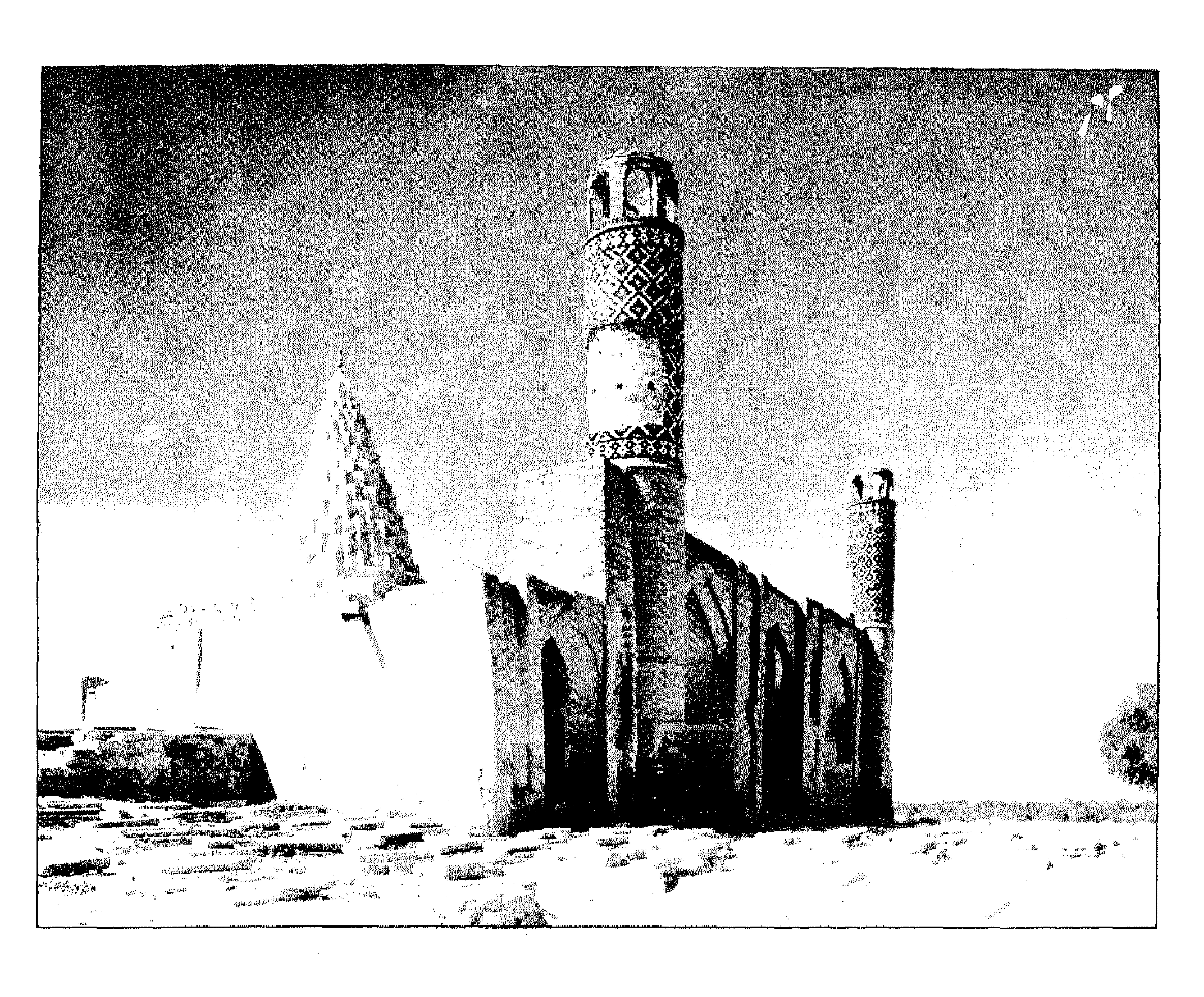
وقد شاءت الأقدار أن تنغص على ابن بطوطة هذه الأيام حيث وجدناه يتعرض – مع زملائه – في بداية فصل الحر هذا إلى حمى ألزمته الفراش ويعلل أسباب الحمَّى بكثرة المياه والفواكه ... ولما تماثل للشفاء اشتهَى طعاما وصفه له شمس الدين السندي من طلبة المدرسة ، وحينئذ دفع له دراهم لقاء تحضير ذلك الطعام ، الأمر الذي شق على الشيخ الشوشتري قبوله ، فأحضر الخدام ، وأمرهم بتلبية طلبات ابن بطوطة مهما كانت .

ومن تستر أخذ طريقه ثلاثة أيام في جبال شامخة (زجْرس) قبل أن يصل إلى حاضرة إيذج[46] (إيذه) ، كانت مراحل الطريق الجميلة كلها مزودة بالمدارس والزوايا المعدة للواردين ...

(46) إيذج ورد ذكرها في «المسالك والممالك» لأبي إسحاق إبراهيم الأصطخري ويذكر صاحب مرآة البلدان أنها بلد بين خوزستان وأصفهان ، وكانت بها قنطرة من عجائب الدنيا ... وقد كان مما نقش على فندق ينزله الواردون من أصفهان هذه الأبيات : =



دواليب (ششتر) تذكر في نواعير جنان السبيل بفاس



ضريح الامام زاده في ششتر

لقد كانت مدينة «إيذج» آنذاك عاصمة لأتابكة هزاراسب[47] (Hazâraspides) لرستان ... وقد كان أول من قام ابن بطوطة بزيارته شيخ الشيوخ نور الدين الكرماني الذي كان له النظر في جميع المدارس والزوايا والذي كان مع ذلك يتمتع باحترام السلطان له ورجالات الدولة وأعيان الحضرة الذين كانوا ــ بمن فيهم السلطان ــ يزورونه صباح مساء !

لقد أنزله هذا الناظر بزاوية الدينوري التي أقام فيها عددا من الأيام ينام على سطحها حيث كان وصوله للمدينة يصادف أيام القيظ[48] ...

ويأبَى ابن بطوطة أن يقدم لنا ملوك الطوائف الذين كانوا على ذلك العهد ممن عرفنا عنهم في ديباجة هذا الحديث .

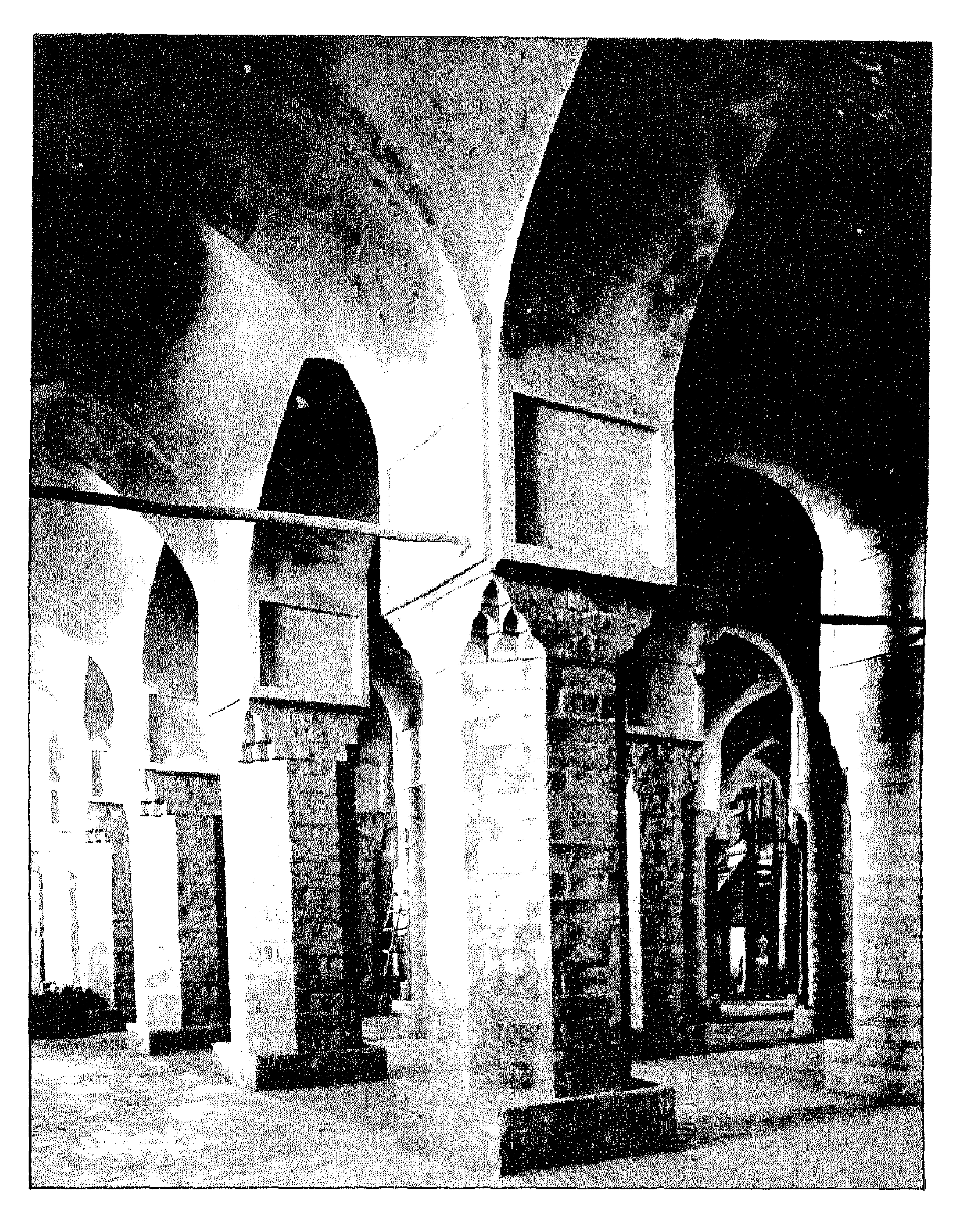
ويتعلق الأمر بسلطان إيذج وششتر أي ملك بلاد اللور الذي كان يحمل لقب أتابك ويحمل إسم أفراسياب[49] ابن أتابك أحمد ... لقد

= فتح السالكون في طلب الرزق ايذج إلى أصفهان
ليت من زارها فعاد إليها قدّر مال الإلاه بالخذلان !
وقد وقعت بها زلازل كثيرة ، ومعادنها وافرة ، وبها بحيرة مالحة ، وكانت بها مزارع لصنع السكر... وكانت بها كذلك معابد للنار... (مرآة البلدان) .

(47) تعني كلمة هزاراسب ألف حصان ، وقد حكمت هذه الدولة من 543 إلى 827 من ملوكها أفراسياب الثاني 740 ــ 756 ...

(48) يرَى هيربير أنه كان على ابن بطوطة أن يصل إلى ايذه في أول مارس 1327 = 6 ربيع الثاني 727 ، بينما يقترح جيب تاريخ أول أبريل (8 جمادى الأولى ونحن نعلم أن حركته هذه إلى ايران كانت انطلاقا من حجة عام 226 = نونبر 1326 ، وأنه سيكون بأصفهان 14 جمادي الأخيرة 727 = 7 ماي 1327) وقد استشكلوا قول ابن بطوطة أنه وصل في وقت الحر... ولكأنما فصل الحر في منطقة الخليج هو نفسه في أروبا ... إن الصيف يستيقظ في الشرق قبله في المغرب .

(49) يؤكد المعلقون هنا أن الذي كان ملكا على هذا العهد هو أتابك أحمد (1296 ــ 1333) وليس أفراسياب ، ولعل الأمر التبس على رحالتنا بسبب عبور لاحق على المنطقة ، حيث كان أفراسياب (Afrâsiyab) هو الأمير.... هذا وتعني كلمة أتابك =



جامع ششتر

أصبح (أتابك) بعد أخيه يوسف الذي كان تولى الأمر بعد والده أحمد ...

لقد ترك أتابك أحمد آثارا علمية صالحة في المنطقة ، الأمر الذي يعطينا فكرة عن الأسباب الكامنة وراء تعلق هذه البلاد بالثقافة الإسلامية . لقد أنشأ أتابك أحمد وحده أربعمائة وستين زاوية ومدرسة منها بحضرة(إيذج)وحدها أربع وأربعون زاوية بينها شيد أكثرها في عرانين الجبال الشاهقة التي عبدت تعبيدا ونحتت نحتا تسهيلا على المارة والمسافرين بالرغم من طولها وعرضها : مسيرة سبعة عشر يوما طولا على عشرة أيام عرضاً ... إنها سلسلة جبال معروفة بشموخها وشعابها وأنهارها وبلُّوط غاباتها الذي يصنع من دقيقه الخبز ، ففي كل مرحلة من مراحلها وكل منزل من منازلها مدرسة ، فالجبال إذن سلسلة من المدارس المجهزة بالزاد والخدمة للواردين سواء أطلبوا ذلك أم لم يطلبوه . لقد قسم خراج بلاده بالفعل على أثلاث ، فالثلث منه لنفقة الزوايا والمدارس ، والثلث لمرتب الجند ، والثلث لتكاليفه وتكاليف الحكم ... ومن هذا الثلث يبعث سنويا بهداياه لملك العراق السلطان **أبي سعيد** الذي ظل رمزا للولاء باعتبار أن بغداد كانت مقرا للخلافة الكبرى ... وربما شخّص أتابك أحمد نفسه من (إيذج) إلى بغداد إمعانا في التعبير عن الاحترام ...

ويستمر الرحالة المغربي في الحديث عن أتابك أحمد فيذكر أن ملك العراق أبا سعيد – وقد بلغه ذات يوم أن الأتابك يزوره وهو يرتدي على سبيل الإحتياط درعا داخليا – أمر بطانته باختباره بأسلوب مباسط ، وهكذا أحاط به ، لما مثل بين يدي أبي سعيد ذات يوم ، جماعة من الجلاس المقربين كان فيهم الأمير الجوبان عظيم أمراء العراق ، والأمير سويته أمير ديار بكر والشيخ حسن الذي صادفت زيارة ابن بطوطة وجوده سلطانا على العراق ... وأخذوا يمسكونه من ثيابه وكأنهم

= (Atābak) بالتركية ثم الفارسية الوصي وهو اللقب الذي يعطى من طرف السلجوقيين للأمراء . ابتداء من القرن 13 الميلادي ، وتعني : الأب الكبير .

يمازحون ... لكنهم اكتشفوا أن ما كان يوجد مباشرا لجلده ، ثوب شَعَر ! وحينئذ قام إليه السلطان أبو سعيد وعانقه وأجلسه إلى جانبه ، قائلا له بالتركية ما معناه : «أنت أبي» .

وكان هذا الاختبار من أبي سعيد باعثا على مكافأة أتابك لرستان بهدايا مضاعفة ، بل انه أصدر (يَرْليغا) أي شهادة بإعفائه هو وأولاده من تقديم «الهدايا» ... لكنه لم يلبث أن توفي تلك السنة حيث خلفه ابنه أتابك يوسف الذي ظل في الحكم عشر سنوات قبل أن يتسلم الحكم أخوه أفراسياب ...

وبعد أن قدم ابن بطوطة أتابك أحمد ، تخلص للحديث عن خلفه أتابك أفرسياب عاهل لرستان آنذاك ...

حاول ابن بطوطة — كما هي عادته — أن يسلّم عليه ، لكنه وجد صعوبة ، حيث أن أفرسياب لا يسمح باستقبال الناس إلا يوم الجمعة ، لأنه — على ما يقول ابن بطوطة — كان مدمنا على الخمر باستمرار ... ولم تتح الفرصة لابن بطوطة أن يتعرف على دار السلطان ، إلا عندما مرض ولي عهد أتابك ، فهنا تفقَّدُوا الوارد الغريب ! حيث ورد مبعوث عن أفراسياب يسأل عن هوية ابن بطوطة ، على أن يعود إليه المبعوث في المساء بالطعام والفاكهة والمال ...

وقد كان الرسول مصحوبا بعدد من أهل السماع والآلات الموسيقية طالبا إلى الرحالة المغربي ورفاقه أن ينشد السماع تحريكا للفقراء حتَّى يرقصوا ويدعو لابن أتابك ! وفي الوقت الذي اعتذر فيه ابن بطوطة بأنه لا يعرف الإنشاد ولا الرقص ، دعا لأتابك ولولي عهده ...

وتشاء الأقدار — بعد أن عرفنا عن جو الموسيقي والسماع في لرستان — أن تعرف البلاد مناسبة حزينة تفتح عين الرحالة المغربي على تقاليد وعوائد أخرى .

لقد أدرك ولي عهد لرستان أجله ... ووجد ابن بطوطة نفسه في دار السلطان ضمن كبراء المملكة الذين وردوا لتقديم العزاء ، كان منهم أبناء المالك والأجناد ، وقد ارتدوا جميعا النسيج الخشن ، منهم من ارتدى تلّيسا ، ومنهم من جعل عليه إكافا ... ومنهم الذين جزوا ناصيتهم ... وقد تألف موكبان من المعزين ، كل يتجه لناحية الآخر ، وهم يضربون بأيديهم على صدورهم على عادة الشيعة ، مرددين باللغة الفارسية (خوند كارِمَا) مولانا ! مولانا[50] .



صورة لمواكب العزاء بمناسبة وفاة آية الله محمود طالقاني (تهران 1979)

وهناك نوع آخر من الحاضرين كالقضاة والخطباء والشرفاء ، جعلوا فوق ثيابهم العادية أقمشة خامة من غليظ القطن غير محكمة الخياطة ، ملبوسة في ظهرها مقلوبة ، وعلى رأس كل واحد منهم **خرقة سوداء** ... كانت تلك مظاهر العزاء والحداد في لرستان :

---

(50) كثيرا ما كان ابن بطوطة يلاحظ طريقة العزاء عند أهل التسنن الذين لا يزيدون على (بكاء الرحمة) كما يفعله أهل مصر والشام خلافا لفعل هؤلاء عندما مات ولد ملكهم .

وحول لقاء ابن بطوطة مع ملك لرستان يروي الرحالة قصة لا تخلو من طرافة ... فبعدما قصد دار السلطان لأداء التعزية وجد أن الساحة غاصة بالناس ، وحينئذ وقع بصره على سقيفة في زاوية من زوايا القصر جلس بها رجل منفرد ، عليه ثياب صوف من اللبد يلبسها ضعاف الناس أيام الشتاء ... فقصد المكان ابن بطوطة وصعد السقيفة فسلم على الرجل الذي رد السلام وهو يهمُّ بالوقوف – نصف القيام – كأنه يريد ذلك .. !

وقد عجب ابن بطوطة من توجه الأنظار إليه ... بل إنه تساءل دون شك لماذا يرَى أحد القضاة يشير إليه : أن أنزل إلينا !

وما لبث الرحالة المغربي أن أدرك أنه في سقيفة واحدة مع أتابك أفراسياب عندما أقبل شيخ الشيوخ نور الدين الكرماني الذي سلم على الرجل المنفرد وجلس فيما بين أتابك وابن بطوطة ..

وقد أعطَى الرحالة المغربي وصفا للنعش الذي حضر وهو يختفي بين غصون أشجار الأترج والليمون والنارنج ، حيث كانت الأغصان تحمل ثمارها «فكأن النعش يمشي في بستان والمشاعل في رماح طويلة[51] ... حيث صلَّى الحاضرون على الجنازة وراحوا بها إلى مدفن الملوك بظاهر المدينة (هِلَافيحَان)[52] حيث توجد مدرسة عظيمة مزودة يحف بها بستان فسيح يشقها النهر ، وتحتضن مسجدا تقام فيه الجمعة وبخارجها حمام .

لم تمض أيام قليلة حتَّى بعث إليه أتابك رسولا يحمل «الضيافة» ويدعوه لحضور قصر أتابك حيث رأينا ابن بطوطة يلبي الدعوة ويصل إلى

(51) ما تزال هنا عادات أعتقدها بقايا تلك العصور الذاهبة ... فقد جرَى سلوك القوم على نصب (حجلات) في الحارة التي يتوفى بها عزب لم يتزوج تضاء الأنوار وهي تشبه خدر عروس ، يراها النظارة فيعلمون عن خبر هذا الشاب الذي راح ولما يذق طعم الحياة ... لقد اعتدنا أن نرَى الحجلات منتشرة هنا وهناك في تهران .

(52) لم نقف على تحديد لهذه الروضة في المصادر التي بين أيدينا سوَى أنها تقع على بعد أربعة أميال من المدينة .

باب السّرو... ومنه يصعد في درج كثيرة إلى أن ينتهي إلى قاعة غير مفروشة اعتباراً لحالة الحداد التي تعيش فيها البلاد... وهنا رأى السلطان جالسا فوق مخدة وبين يديه آنيتان إحداهما من ذهب والثانية من فضة، وقد فرشت للرحالة سجادة خضراء بالقرب من العاهل. حيث لم يكن بالمجلس سوى الحاجب محمود ونديم لا يعرف ابن بطوطة إسمه...

لقد سأله أتابك عن حاله وعن بلاده المغرب... وسأله عن ملك مصر الناصر[53]... كما سأله عن بلاد الحجاز. وقد كانت فرصة للسفير المغربي الشبه الرسمي أن يقدم بلاده إلى أتابك لرستان، وفي هذه الأثناء ورد على المجلس رئيس الفقهاء: مولانا فضيل الذي قدمه العاهل إلى ابن بطوطة مشيداً بمعارفه...

وهنا وقع حوار بين أتابك وبين الرحالة المغربي الذي لا ننسى مؤاخذته على أتابك إدمانه على الخمر! الأمر الذي لاحظه أيضا في اللقاء الذي بدا فيه الملك وقد غلب عليه السكر! لقد زين لأتابك أن يطلب إلى ابن بطوطة باللسان العربي أن يتكلم! وهنا لم يتردد ابن بطوطة في تقديم النصح للأمير أن يقلع عن تناول الخمرة... إنك من أولاد السلطان أتابك أحمد الذي كان مضرب المثل في الصلاح والزهد. وليس هناك ما يقدح في سلطنتك غير هذا مشيرا إلى الآنيتين!

وقد أدرك ابن بطوطة أن الأمير خجل من هذا الكلام ولاذ بالصمت!! وهنا شعر الرحالة المغربي بأنه ربما تجاوز حدوده، فهمّ بالإنصراف، لكن العاهل أفراسياب كان في المستوَى حيث رأيناه يأمره بالجلوس قائلا: «الإجتماع مع أمثالك رحمة!» وهكذا ظل ابن بطوطة جالسا حتّى شعر بأن الأمير في حاجة إلى النوم...

---

(53) القصد إلى الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون... ابن بطوطة ص 324.

ويختم ابن بطوطة زيارته للقصر بالبحث عن نعله الذي افتقده عند إرادة الإنصراف حيث وجدنا القوم يتسابقون لإحضار النعل ! لقد نزل الحاجب محمود إلى الساحة ، وصعد مولانا فضيل إلى المجلس ... ووجد النّعل هناك في طاق ... وهنا اعتذر ابن بطوطة عن الإحراج ... ولا شك أنه تأثر وهو يرَى أن مولانا فضيل يهوي على النعل بالتقبيل ويرفعه على رأسه على نحو ما يفعل الناس اليوم هنا إذا قدمت إليهم شيئا رفيعا ! لقد قال له مولانا فضيل : بارك الله فيك ! هذا الذي قلته لسلطاننا لا يقدر أحد أن يجاهره به ... وإنا لنرجو الله أن يؤثر ذلك فيه ... !

وقد غادر ابن بطوطة حاضرة (ايذجَ) بعد أيام حيث أقام بالمدرسة العظيمة التي توجد عند روضة الملوك السالفة الذكر ، وهناك أيضا استقر إلى أن وصله أتابك ببعض العطاء هو ورفاقه ..

لقد قطعوا في حكومة أتابك هذا عشرة أيام في «جبال شامخة» لم تكن غير جبال زجروس ... ولم تخل مرحلة من المراحل من مدرسة مزودة بالطعام حتّى ولو كانت هذه المدرسة وحدها دون عمارة ! إلى أن وصل إلى مدرسة عرفت بمدرسة (كرِيوا الرخ)(54) وهي آخر المدارس التي تحتضنها مملكة أتابك ...

ومن هنا كان سفره في بسيط الأرض كثير المياه تابع لعمالة مدينة أصفهان ، وقد وصل إلى بلدة (أشتركان)(55) أو اشترجان التي تحتوي على

(54) كريوا تعني بالفارسية المرتفع والتل ، ولم نقف على صدًى لهذا الاسم في المعاجم الفارسية ...

(55) تقع مدينة أشترجان (Ostorjan) عند الكيلوميتر 36 غربي أصفهان وقد بني المسجد المذكور أيام سلطنة خُدابنده . حيث يوجد منقوشا ما يلي : «أمر ببناء هذا المسجد المبارك الصاحب الأعظم ملك الوزراء في العالم فخر الدنيا والدين ، محمد ابن محمود بن علي الأشترجاني» ... ومما يوجد منقوشا على الباب الشرقي : «بسم الله الرحمن الرحيم وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا ... بني في سنة خمس عشرة وسبعمائة» ... هذا وقد أصبح النهر الذي كان يشق المسجد أصبح خارج الجامع ...

مسجد بديع يشقه النهر... ثم لم يلبث ابن بطوطة أن رحل إلى مدينة صغيرة تدعَى (فيروزان)[56] التي وصلها بعد صلاة العصر...

وقد صادف ابن بطوطة تشييع جنازة حمل الناس خلفها وأمامها المشاعل على عادة أهل المنطقة وأتبعوها بالمزامير والمغنين بأنواع الأغاني المطربة وكأنها عروس محمولة على هودج..! وبعد أن قضَى ليلة بهذه المدينة مرَّ من الغد بقرية (فيلان)[57] التي تقع على نهر عظيم يوجد على ضفته مسجد على غاية من الحسن يصعد إليه في درج. وقد مضَى يومه سيرا بين البساتين والمياه والقرَى الحسان الكثيرة أبراج الحمام حيث وصل بعد العصر إلى أصفهان... أو (نصف جهان) أي نصف الدنيا!

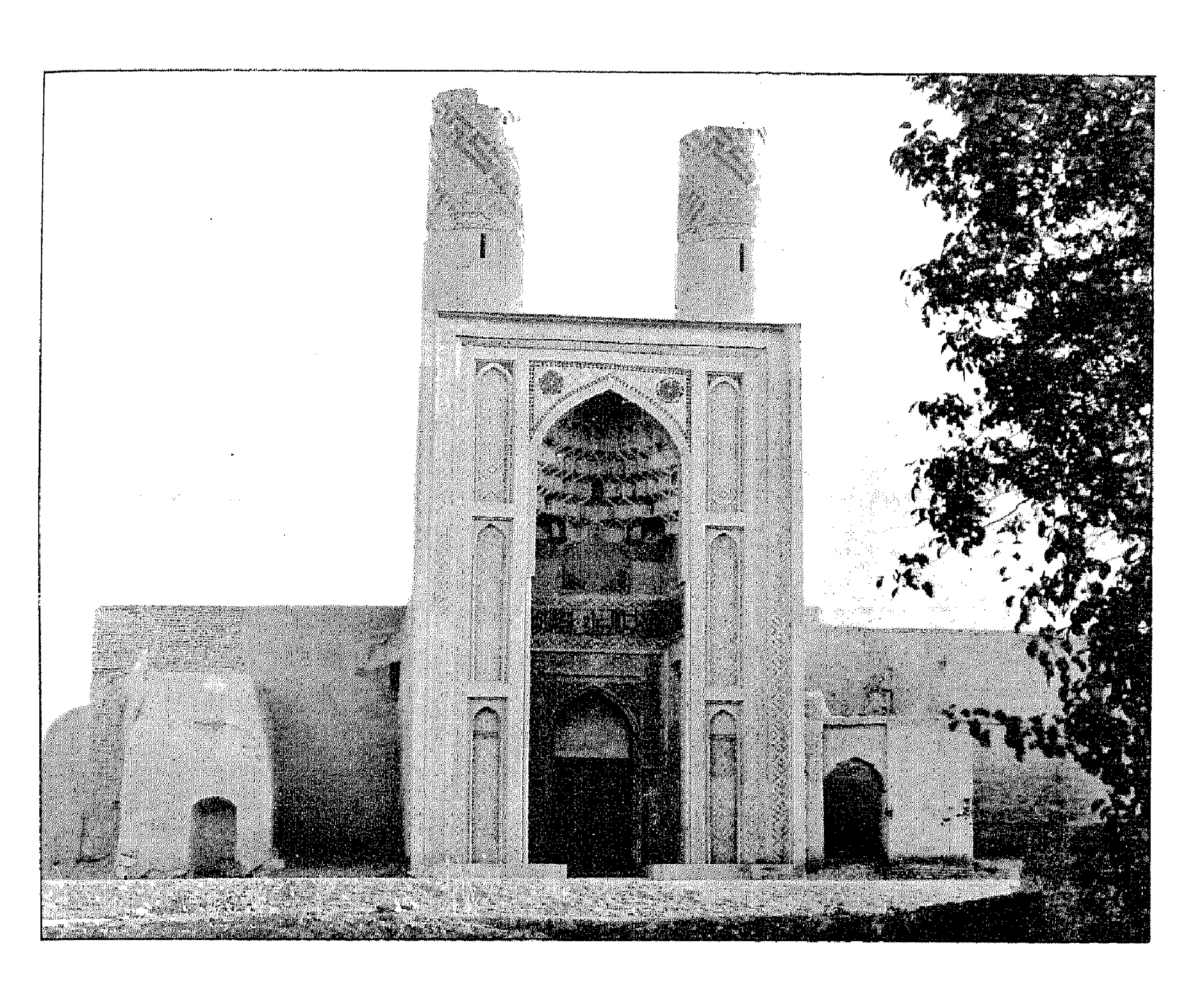
هنا أفاض الرحالة المغربي الحديث عن هذه المدينة التي كانت من مشمولات عراق العجم، ولقد هاله ما بدا عليها من خراب ضرب أكثر أطرافها، وغدا ابن بطوطة يبحث عمن كان وراء ذلك الخراب، هناك دعاة الشيعة ودعاة السنة، كل يريد أن يحتفظ بحريته فيما يسلك على ما يؤكده المؤرخ القزويني حمد الله مستوفي[58]. وهنا ستوافي ابن بطوطة الفرصة فيشير إلى مظهر من مظاهر الصراع الذي ظل يصدم أهل الشيعة بأهل السنة في عراق العرب وعراق العجم، وسنسمع إليه وهو في شيراز ثم في خراسان يدلي بمعلومات جد هامة؛ وربما كان ابن بطوطة الوحيد الذي استأثر بتفاصيلها على ما يفهم من المصادر الفارسية نفسها. ودعونا قبل أن نستمع إلى تلك المعلومات نصحب ابن بطوطة في جولته بأسواق أصفهان ومع الأوضاع الإجتماعية في أصفهان ومع علماء أصفهان الذين

---

(56) فيروزان مدينة داخل منطقة أصفهان... وقد كتب عنها حمد الله مستوفي في كتابه نزهة القلوب ص 52 – 56 طبع تهران.

(57) فيلان قرية كبيرة وهي تحمل اليوم إسم شهر فيروزان أو شهرو فيروزان... لطف الله: تاريخ أصفهان ص 251 – 303.

(58) د. موحد: سفر نامه ابن بطوطة ج 1، ص 211 تعليق 1.



جامع اشترجان (اصفهان)

امعنوا في تكريمه وتشريفه بما لم يتقدم له أن ناله من ذي قبل..

لقد أعجب الرحالة بمشمش أصفهان وهم يسمونه (قمر الدِّين) وهم ييبسونه ويدخرونه على ما نجد عليه الحال اليوم. كما أعجب بسفرجل الإقليم طعما وجرما... وبالأعناب المتنوعة وبالبطيخ (خربوزة) الأصفهاني الذي لا يوازيه إلا بطيخ بخارى وخوارزم، وهو ما يزال يتمتع بشهرة واسعة[59]، وقد كان أهل أصفهان يدخرونه كما تدخر الشريحة (التين) في المغرب... وهو ينصح الذين يتناولونه لأول مرة أن ينتبهوا لمضاعفاته فهو يغري في أكله، ولكنّه يرطب المعدة[60]..

وابن بطوطة الذي عودنا أن لا يخفي أحاسيسه عند رؤية كل جميل لم يتردد في نعت أهل أصفهان بحسن الصورة وبياض اللون المشرب بالحمرة على ما يتحلون به من نجدة وشجاعة، وعلى ما كانوا يتنافسون فيه من كرم للضيف.

وبهذا الصدد يحكي ابن بطوطة أخبارا لا تخلو من طرافة فهم يقولون لضيفهم هيا لتأكل (نان وماست) أي الخبز واللبن[61]، لكنهم بعد أن يحصلوا على الضيف يقدمون له أفخر أنواع الطعام...

وكما اعتادت الحرف والمهن اليوم فقد دأب أهل الصناعات في

---

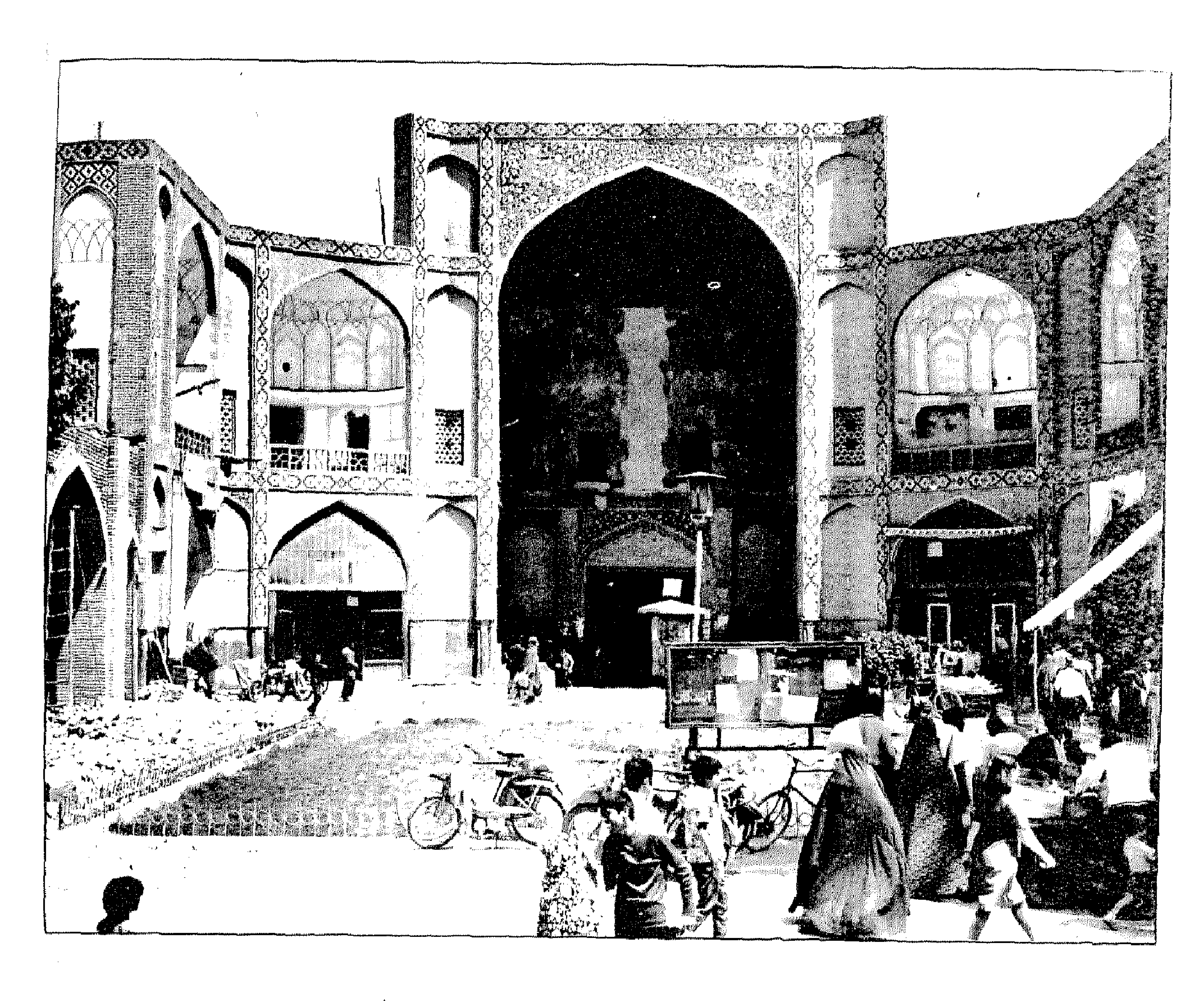
(59) يعزون السر في وفرة الفواكه وطيب نكهتها في أصفهان إلى الماء الزلال الذي ينعم به الإقليم ومما رواه اعتماد السلطنة في كتابه «مرآة البلدان» عن أصفهان.

لست آسي من أصبهان على شيء ... سوى مائها الرحيق الزلال
ونسيم الصبا ومنحرف الربع ... وجو صاف على كل حال
ولها الزعفران والعسل الماذي ... والصافنات تحت الجلال

مرآة البلدان — ص: 56.

(60) ما يزال الأطباء إلى اليوم يحذرون في آسيا العليا من مثل ما حذر منه ابن بطوطة قبل قرون...

(61) ما يزال الماسط إلى الآن يكون المادة الضرورية في المائدة إلى جانب الأرز والبصل الأخضر أي (النيّئ).



باب سوق اصفهان، وهو يحاكي مدخل بازار طهران

أصفهان على نصب نقيب عليهم يختارونه من كبرائهم يسمونه بالفارسية (كلو) والحال كذلك في غير أهل الصناعات... وفي معرض حديثه عن تنافس جمعيات الشباب العُزّاب فيما بينهم على المكارمات(62) ذكر أن جماعة تعمدت أن تطبخ الطعام للأخرى على نور الشمع بينما طبخت أخرى الطعام على نار الحرير!

لقد كان نزول الرحالة الطنجي في زاوية تنسب للشيخ **علي بن سهل** تلميذ الجنيد... وكانت على جانب من العناية والإهتمام، فقد أعد فيها الطعام لكل الواردين والصادرين، وكانت تحتوي على حمام مفروش بالرخام بينما وشيت حيطانه بالكاشي أو القاشاني الذي تذكر نقوشه في زلّيج المغرب(63)...

وقد كان المشرف على شؤون الزاوية الشيخ قطب الدين حسين بن شمس الدين محمد ابن محمود الذي غمر الضيف المغربي بكرمه وأفاض عليه من خيراته طيلة الأربعة عشر يوما التي قضاها ابن بطوطة في زاوية ابن سهل، وكان الشيخ لم يكفه أن يكسو زائره جبة تعرف عند المريدين باسم (هزارميخي) بمعنَى ألف مسمار(64) لكنه أي الشيخ قام بمبادرة جد رائعة كان لها وقعها في نفس ابن بطوطة، بل وفي نفس كلّ المغاربة

---

(62) يتساءل عن صلة (الأفاردة) التي تحدث عنها بالمغرب زنوف التازي في مؤلفة (مختصر الأفاردة) المطبوع مرارا بمدينة فاس.

(63) يقع ضريح علي بن سهل في نهاية محلة تسمّى طوقتجي حيث يوجد الجدار القديم لأصفهان الذي لم تبق منه إلا قطعة تقرب قليلا من خندق المدينة المسمى في عهد السلجوقيين فلفاجي، وقد كانت المحلة مزدحمة بالسكان... ويلاحظ أن الضريح والقبة لم يبق منهما أثر الآن، ويعزى سبب ذلك لكون علي بن سهل كان مشتهرا بالتسنّن وجل سكان المدينة متشيّعون.. وهذا هو الضريح الذي تمنّى المرحوم علال الفاسي أن يقوم أحد بتقفي خطوات ابن بطوطة في ايران.

(64) سميت الخرقة كذلك لأنها فيما يبدو تحمل ألف عروة كأنها خرقها مسمار (الثوب المسماري) وقد ورد في شعر خاقاني، عليك أن تزيل الغم من قلبك قبل أن يخلع الفلك الثوب المسماري عنك...!

الذين يعرفون معنَى تلك المبادرة وأبعادها ومقاصدها.

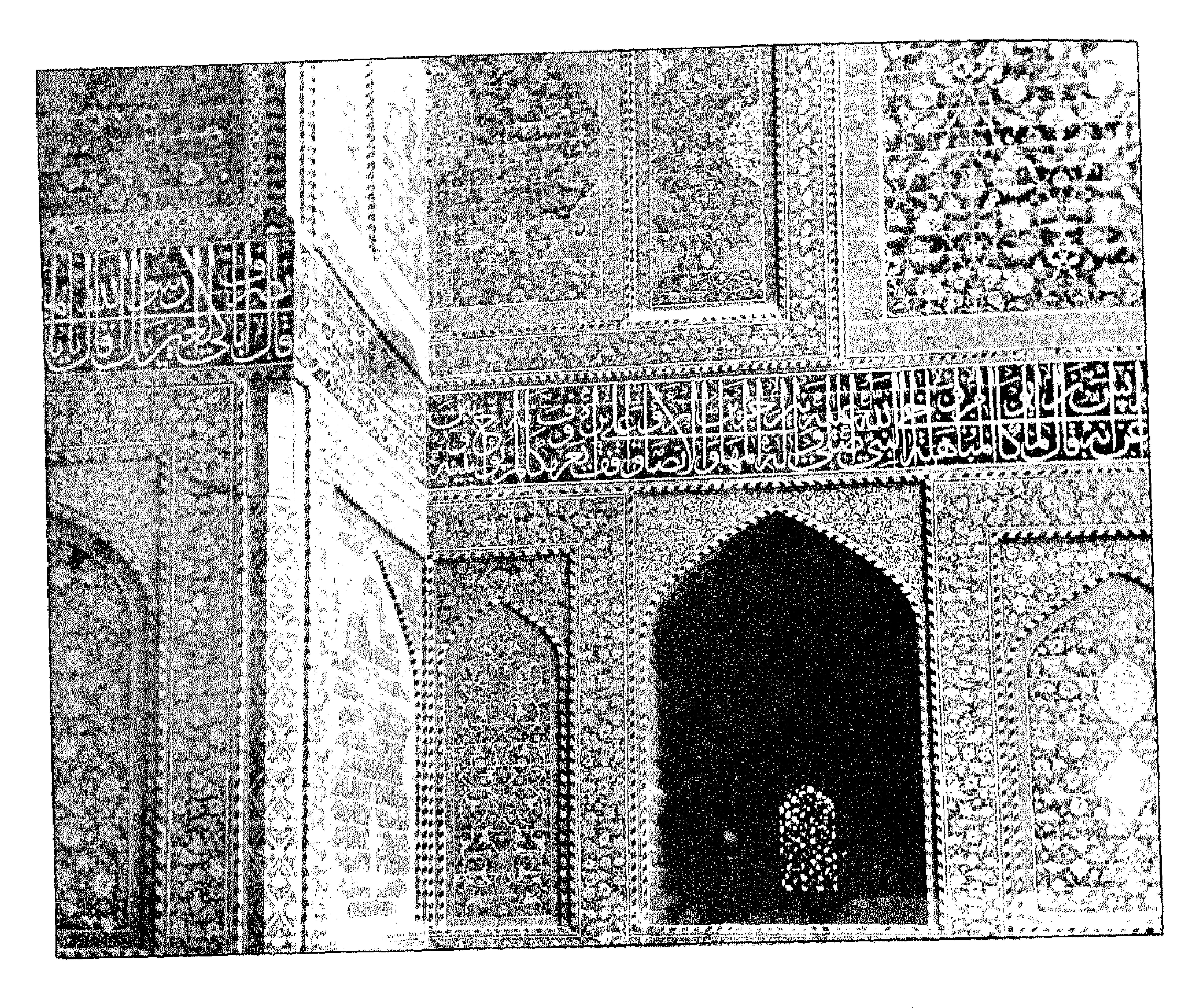
ويتعلق الأمر باستجابة الشيخ قطب الدين لمطلب ابن بطوطة أن «يخلع عليه الشيخ القلنسوة[65] التي كان يجعلها على رأسه و«يجيزه» في ذلك بما أجازه والده عن شيوخه.

لقد تم ذلك فعلا بالزاوية المذكورة في مجلس مشهود يوم 14 جمادى الثانية 727 = 7 مايه 1327. وهكذا ألبس قطب الدين ضيفه وتلميذه ابن بطوطة تلك الشاشية كما لبسها من والده شمس الدين وكما لبسها شمس الدين محمد عن والده تاج الدين محمود، ولبسها محمود عن أبيه شهاب الدين علي المشهور بالرجاء، ولبسها علي من الإمام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي، ولبسها عمر من الشيخ ضياء الدين أبي النجيب السهروردي ولبسها أبو النجيب من عمه الإمام وحيد الدين عمر ولبس عُمر من والده محمد بن عبد الله المعروف بعمويه، ولبسها محمد من الشيخ أخي فرج الزنجاني ولبسها أخو فرج من الشيخ أحمد الدينوري ولبسها أحمد من الإمام مِمْشاد الدينوري ولبسها ممشاد من الشيخ **علي بن سهل** ولبسها هذا من شيخه أبي القاسم الجنيد ولبسها هذا من سِرِى السقطي ولبسها هذا من داود الطائي ولبسها داوود من الحسن البصري ولبسها الحسن بن أبي الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[66] ...

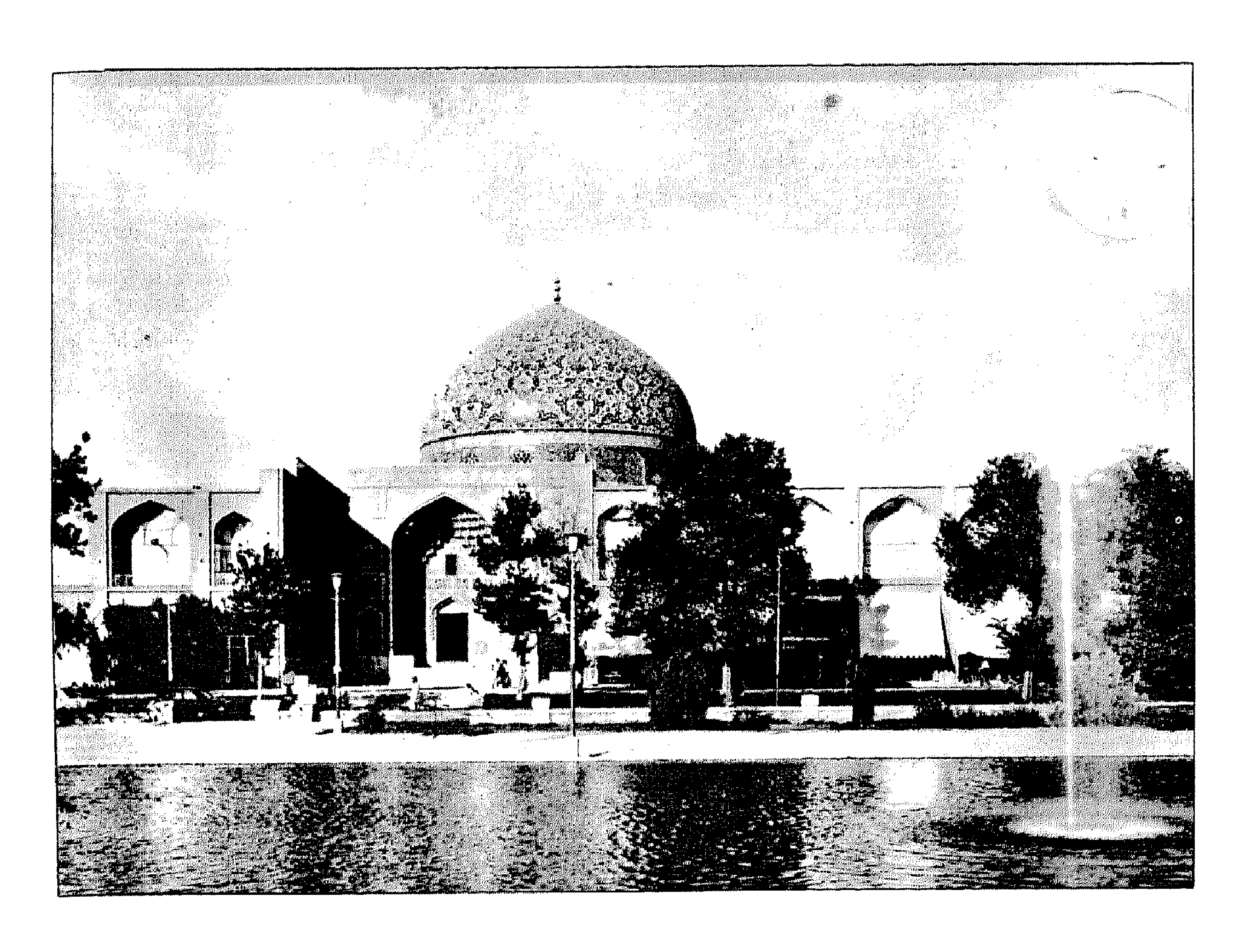
---

(65) تسمى هذه الطاقية بالفارسية تاج درويش، وهي طويلة مقلمة الرأس... هذا وقد أثبت هربيك (Hrbek) أن تاريخ 7 مايه 1327 ينبغي أن يعدّل إلى تاريخ 7 أبريل (جمادى الأولى بدل الثانية) إذا ما قبلنا أن ابن بطوطة وصل بغداد عبر شيراز يوم 21 يونيه 1327، الأمر الذي يعني 40 يوما للسير...
ابن بطوطة 2 – ص 466.

(66) يعلق ابن جزي على السند المذكور من طرف ابن بطوطة ببعض الاتصالات التي توجد بين الرواة ودرجتها من الصحة...



جامع اصفهان : نقش حديث المباهلة والمواخاة بين المهاجرين والانصار



مسجد الشيخ لطف الله باصفهان

لقد كانت طاقية تستحق من ابن بطوطة التعلق بها والتوق إليها نظرا لما تتوفر عليه من تاريخ وأصالة ...

* * * *

وقد وجد المهتمون بآثار أصفهان في عدم نص ابن بطوطة على **المئذنة المتحركة** (منار جنبان) دليلاً على أنه أي المنار لم يكن موجودا أيام زيارة الرحالة المغربي للمدينة عام 727 = 1327 سيما وهو لم يهمل الحديث عن «منار متحرك» في البصرة[67].

وتأتي أهمية (منار جنبان) من أنه ظل مشغلة للذين كتبوا عن أصفهان :

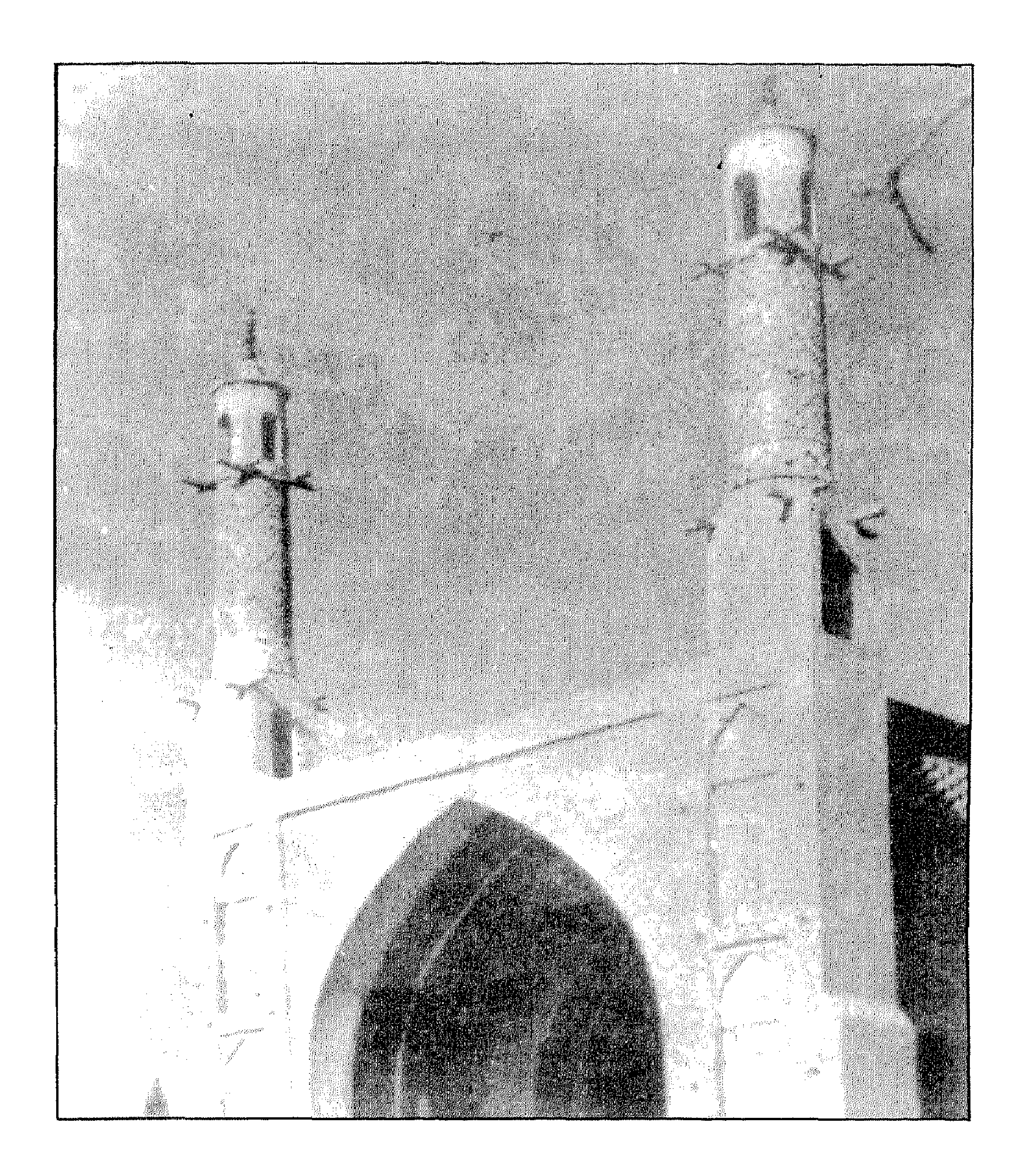
وإن من عجائب الزمان منـار جنبـان بأصفهان !

والمنارة تقع في قرية كارلادن في الكيلومتر السابع غربي أصفهان ..

---

(67) لم ينس ابن بطوطة وهو يزور مسجد الإمام علي كرم الله وجهه بالبصرة ، أن يذكر منارها المتحرك (منار جنبان) وبما عهد في ابن بطوطة من خفة الروح يذكر أن الصومعة تتحرك عند ذكر الإمام علي كما يزعمون ، وهو يقول كما أسلفنا أنه صعد إلى الصومعة من أعلى سطح المسجد ومعه بعض أهل البصرة ، فوجد في ركن من أركان الصومعة مقبضا من خشب مسمرا فيها فجعل رفيقه البصري يده في ذلك المقبض قائلا : بحق رأس أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : تحركي ! وهز المقبض فتحركت الصومعة ... وحينئذ جعل ابن بطوطة يده في المقبض وقال : وأنا أقول بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ تحركي ! وهززت المقبض فتحركت الصومعة فعجبوا من ذلك . ويبرر ابن بطوطة تجرؤه على هذا التحدي بأنه كان يوجد بين أهل السنة .. ولو أنه كان في النجف أو كربلاء أو الحلة أو البحرين أو قم أو كاشان أو زاوية طوس لما تحدَّى الناس وإلا لهلك !

وقد عقب الكاتب ابن جزي على المنار المتحرك في البصرة بأنه عاين هو كذلك بمدينة برشانة من وادي المنصورة (الأندلس) صومعة تهتز من غير أن يُذكر لها أحد من الخلفاء الأربعة ، وهي صومعة المسجد الأعظم بها وظلت من أحسن الصوامع منظرا واعتدالا وارتفاعا ، وقد صعد إليها ابن جزي مرة ومعه جماعة من الناس فأخذ بعض من كان بجانبه جامورها وهزوها فاهتزت حتَّى أشار إليهم ابن جزي أن يكفوا فكفوا عن هزها ...



المئذنة المتحركة (منار جنبان) بضواحي مدينة اصفهان

حيث يوجد في تلك البقعة ضريح عمُّو عبد الله كارلاداني المتوفى سنة 716 = 1317 ... لقد نقش على صفيحة هناك : «هذا قبر الشيخ الزاهد البارع المتورع السعيد المتقي عمو عبد الله بن محمد بن محمود سقلا رحمة الله عليه ونور في السابع عشر في شهر ذي الحجة سنة 716 = 2 مارس 1317 .

ومعنَى **هذا أن ابن بطوطة** زار المنطقة بعد إحدَى عشرة سنة من وفاة عمُّو عبد الله ، وحيث أنه لم يرد ذكر للمكان مع معرفتنا بحرص الرحالة على زيارة مثل هذه الأمكنة ، سيما وهو قد تحدث عن المنار المتحرك بالبصرة كما قلنا ، فإن من الراجح أن يكون الضريح لم يبن بعد على الشيخ عمو .

ويقول المهندسون المعماريون المحليون في أصفهان إن بناء الصومعة المتحركة تم بعد بناء الضريح المذكور بدليل أن ابن بطوطة لم يذكرها في رحلته ، وبدليل أيضا أن الرحالة الفرنسي جان شاردان (Jean Chardin) الذي زار المكان بعد ثلاثة قرون ونصف من زيارة ابن بطوطة أواخر عهد شاه عباس الثاني وأوائل عهد سليمان صفوي الذي كان مقيما بأصفهان ...

لم يهمل الرحالة الفرنسي شاذة ولا فادة إلا ذكرها في مذكراته ، لكنه لم يذكر إطلاقا (منار جنبان) الأمر الذي يؤكد أن المنارة المهتزة ، إنما ألحقت فيما بعد ، وربما أواخر عهد الصفويين ...

* * * *

وبعد تلك الأيام الضاحكة في أصفهان توجه ابن بطوطة نحو مدينة شيراز حيث الشيخ مجد الدين ، وقد قدر بُعْدَها عنْ أصفهان بعشرة أيام ... ووصل إلى مدينة (كليل) التي تبعد عن أصفهان بثلاثة أيام سيرا ... ولقد لفت نظر الرحالة ما تحتوي عليه هذه المدينة على صغرها من بساتين وأنهار وفواكه ، ولفتت نظره وفرة التفاح الذي كان صاحب

الدرهم الواحد يمكنه أن يحصل على خمسة عشر رطلا عراقية.

لقد كان ابن بطوطة في زاوية (خواجه كافي) عمدة البلدة الذي كان يهتم هو الآخر بعمارة الزوايا وتجهيزها بالطعام المنتظم.

ومن كليل سار يومئذ إلى قرية تحمل إسم صرماء[68] التي كانت تتوفر كذلك على زاوية معدة لاستقبال الواردين والصادرين، كانت أيضا من انشاء خواجة كافي ... ومن صرماء هذه إلى يزدخاصت (يزدخواست)[69] البلدة الصغيرة المتقنة العمارة الجميلة السوق المعروفة بجُبْنها الذي لا نظير له، تحتضن مسجدا جامعا شيد بالحجارة ... وكانت تقع على ضفة خندق فيه بساتينها ومياهها، وبخارج المدينة شيد رباط ينزل به المسافرون في غاية من المنعة والحصانة، وبداخله متاجر أعدت لحاجات المسافرين كانت من إنشاء الأمير محمد شاه ينجو والد السلطان أبي إسحاق ملك شيراز الحالي ...

ومن يزدخواست سار على طريق دشت الروم أي صحراء الأتراك[70] على حد تعبيره إلى بلدة (مايين)[71] قبل أن يحل بمدينة شيراز التاريخية يوم 25 جمادى الأولى 727 = 18 أبريل 1327.

وقد أفرغ ابن بطوطة كل ما في كنانته ليقدم لنا أوصاف شيراز المدينة الأصيلة الفسيحة الشهيرة المنيعة، مدينة الشعراء ذات البساتين والأنهار والطيور والعندليب والكروم والأسواق والشوارع، والعمارة والمباني ... والترتيب العجيب لقد نظمت (البازارات) فيها بحيث ان كل صناعة تستأثر

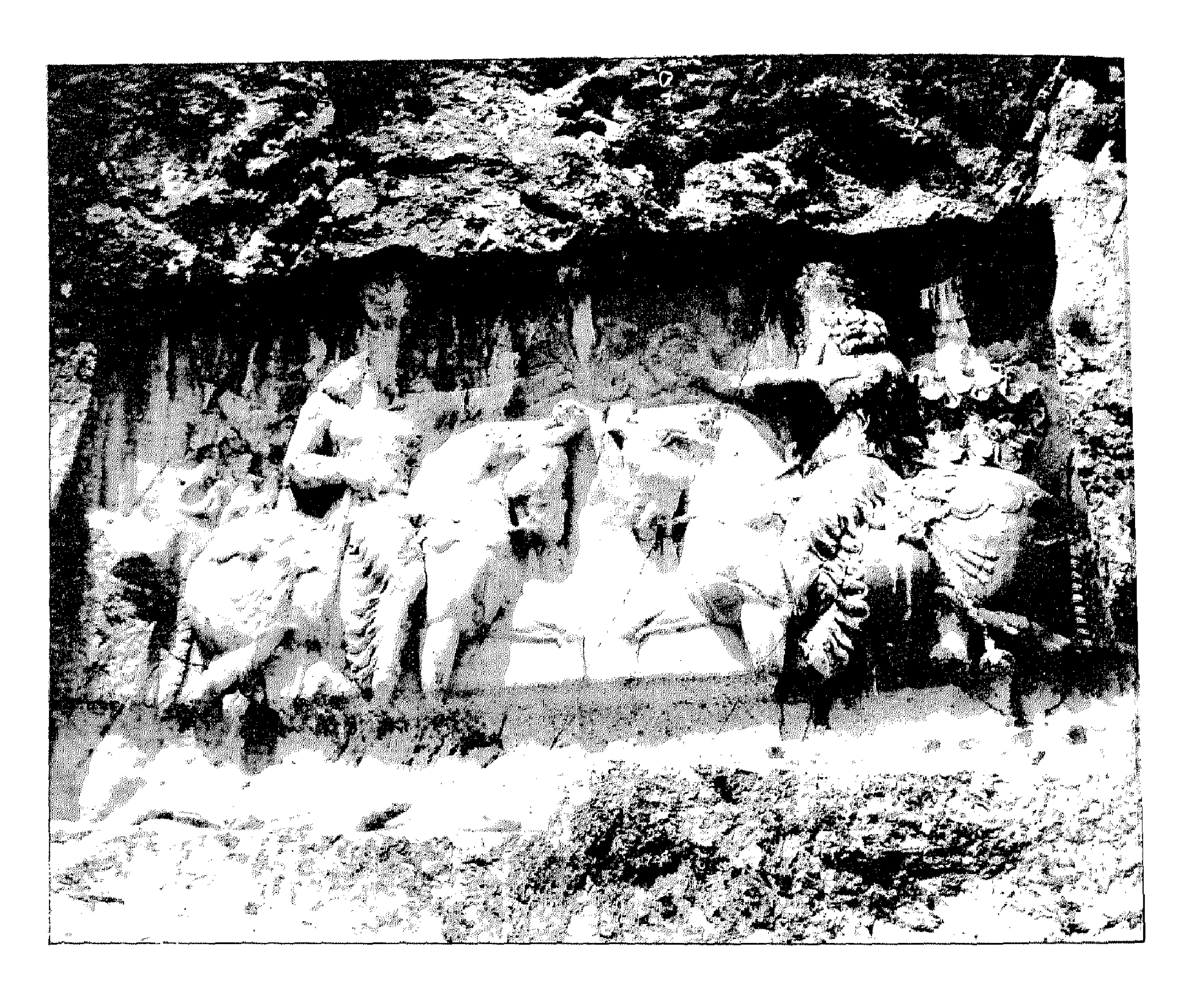
---

(68) موقع صرماء (Surme) عبارة عن قرية قبل منطقة قُلي كُوش (Qoli-Kosh)

(69) هكذا تكتب، لكنها تنطق خاست، وهي الآن خراب ... د. موحد: سفرنامه ج 1، 216.

(70) القصد إلى الطوائف القشقائية التي تتكلم التركية.

(71) ورد تحديد (مايين) في «مسالك وممالك» لأبي إسحاق إبراهيم أصطخري الذي حققه الأستاذ ايرج أفشار، على نحو ما ذكره ابن بطوطة. ص 115.



نقوش على الصخر في عصر السلالة الساسانية في شيراز

بسوق لا يشاركها فيه غيرها ... وبعد أن يضفي على أهل شيراز من أوصاف الحسن في الصورة والطهارة في الملبس يجد للمدينة توأما في العالم الإسلامي، وكان ذلك الشبيه هو دمشق ! وإذا كانت هذه الأخيرة تعتز بنهر بَرَدَى فإن للأولى اعتزازاً أيّما اعتزاز بالأنهار الخمسة التي تخترقها ، والتي يوجد على رأسها نهر ركن آباد الذي ينطلق من جبل القُلَيعة[72] تذكرك عذوبة مائه وشدة برودته عند الصيف ودفئه في الشتاء في المياه التي تنحدر من جبال ألُبرز شمال تهران !

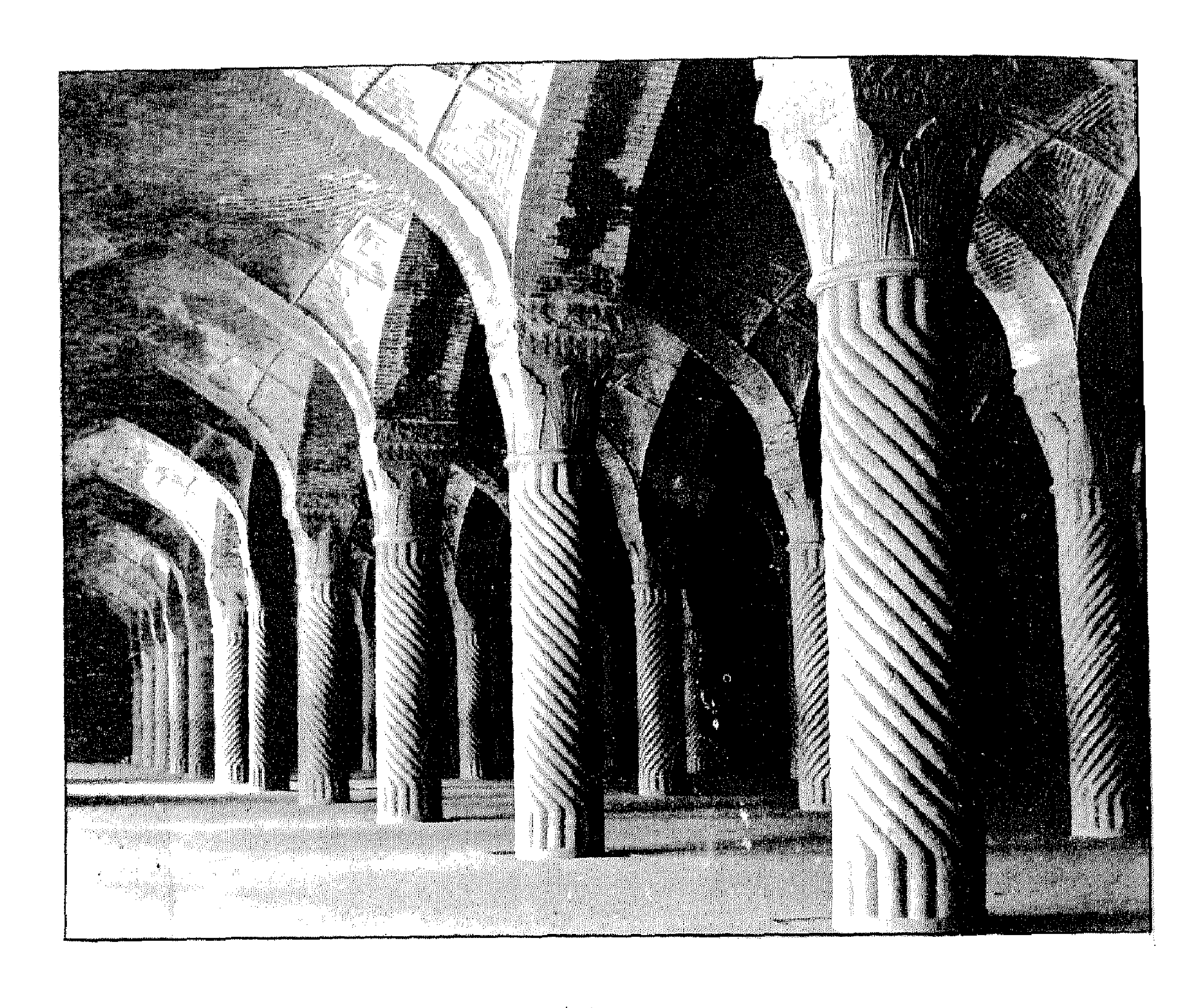
وقد قدم ابن بطوطة المسجد الجامع في شيراز على أنه من أكبر وأحسن وأهم المساجد التي شاهدها ويرجع تشييده للقرن الثالث الهجري— التاسع الميلادي ... ولأهل شيراز تعلق به ولذلك فهم يغسلون صحنه المفروش بالمرمر كل ليلة أوان الصيف ، وهم يقصدونه كل عشية وبه يؤدون فريضة المغرب والعشاء[73] وهو كمسجد جامع يحتوي على عدد من الأبواب ، كان منها (باب حسن) الذي يوجد شمال المسجد والذي يفضي إلى سوق الفاكهة الذي يفضله ابن بطوطة على سوق باب البريد من دمشق ، إنَّ انطباعاته الجميلة عن شيراز تطغَى شيئا فشيئا على ما كان يحتفظ به من ذكريات عن عاصمة بلاد الشام !

ويظل تاريخ النهضة النسائية في ايران مدينا للرحالة المغربي بما قدمه عن سيدات شيراز ، وما يتحلين به خاصة من دين وعفاف وحجاب ، فهن يلبسن الخفاف ويلتحفن (الشادور) ... ولكن كل هذا لا يمنعهن من تعاطي العلم وتلقي المعرفة ، ولذلك نراهن يجتمعن لسماع الوعظ والإرشاد

---

(72) للنهر المذكور اسمان اثنان له : ركن أباد أو ركنَي ، اسم على أحد أمراء شيراز الذي هو ركن الدولة حسن بن بويه ديلمي .
د. موحد سفرنامه 1 ، 216 .

(73) لا ندري لماذا لم يتحدث ابن بطوطة عن **المكعب الشاخص** وسط المسجد والذي استُوحي فيما يبدو من الكعبة الشريفة . ابن بطوطة ج 2 ، ص 466 .



مسجد شيراز...



إلى الآن اعتادت سيدات ايران ان يجلسن إلى الاستماع وهن متلفعات في شادورهن...

في كل يوم اثنين وخميس وجمعة بالجامع العتيق... وربما — يقول الرحَّالة المغربي — اجتمع منهن الألف والألفان ، الأمر الذي أثار إعجاب ابن بطوطة وعَجَبَه أيضا ، حيث إنه لم ير اجتماع النساء بهذا العدد الضخم في بلد من بلدان الله... وأن الرحالة المغربي الذي تتبع الخف والعباءة لم يفته أن يلاحظ كذلك المراوح التي كانت السيدات يحركنها ذات اليمين وذات الشمال دفعا للحر... إن الزيارة تمت قبل أن تظهر وسائل التكييف الحالية (74) ..!

ولقد كانت أول شخصية قصدها الرحالة المغربي وهو يحل بشيراز

(74) يتأكد أن ابن بطوطة أخذ بالأوضاع الإجتماعية في شيراز ومن الطريف أن نجد المؤرخ الإيراني حمد الله مستوفي الذي كان قريبا من عصر ابن بطوطة يعجب هو الآخر بظاهرة نساء شيراز ... وبينما يتحدث ابن بطوطة عن مسجد شيراز على أنه تحفة ، يتحدث عنه حمد الله على أنه كان متآكلا صائرا إلى الخراب ، علاوة على ما يلاحظه حمد الله من غلاء الأسعار الأمر الذي لم يعره ابن بطوطة اهتماما . د. موحد : سفرنامه ج 1 ، ص 217 .

الشيخ القاضي مجد الدين إسماعيل بن محمد بن خدا داد (أي عطية الله) فلقد سمع عن صلابة عوده وقوة عارضته وظاهر كرامته . ولذلك وجدناه في المدرسة المجدية التي تنسب إليه والتي تتصل ببيته ... انتظر حضوره لصلاة العصر ضمن كبراء المدينة والفقهاء ... ولم يلبث الشيخ أن ظهر يرافقه ابنا أخيه : محب الدين وعلاء الدين ، أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال ... وكلاهما كان ينوب عنه في القضاء لضعف بصره ...

لم يجد ابن بطوطة صعوبة في اقتحام نفس الشيخ ، فقد عانقه هذا الرجل الجليل وأخذ بيده إلى أن وصل إلى مصلاه حيث أومأ إليه أن يصلي بجانبه وتلك سيمة من علامة التكريم في عرف المشايخ ...

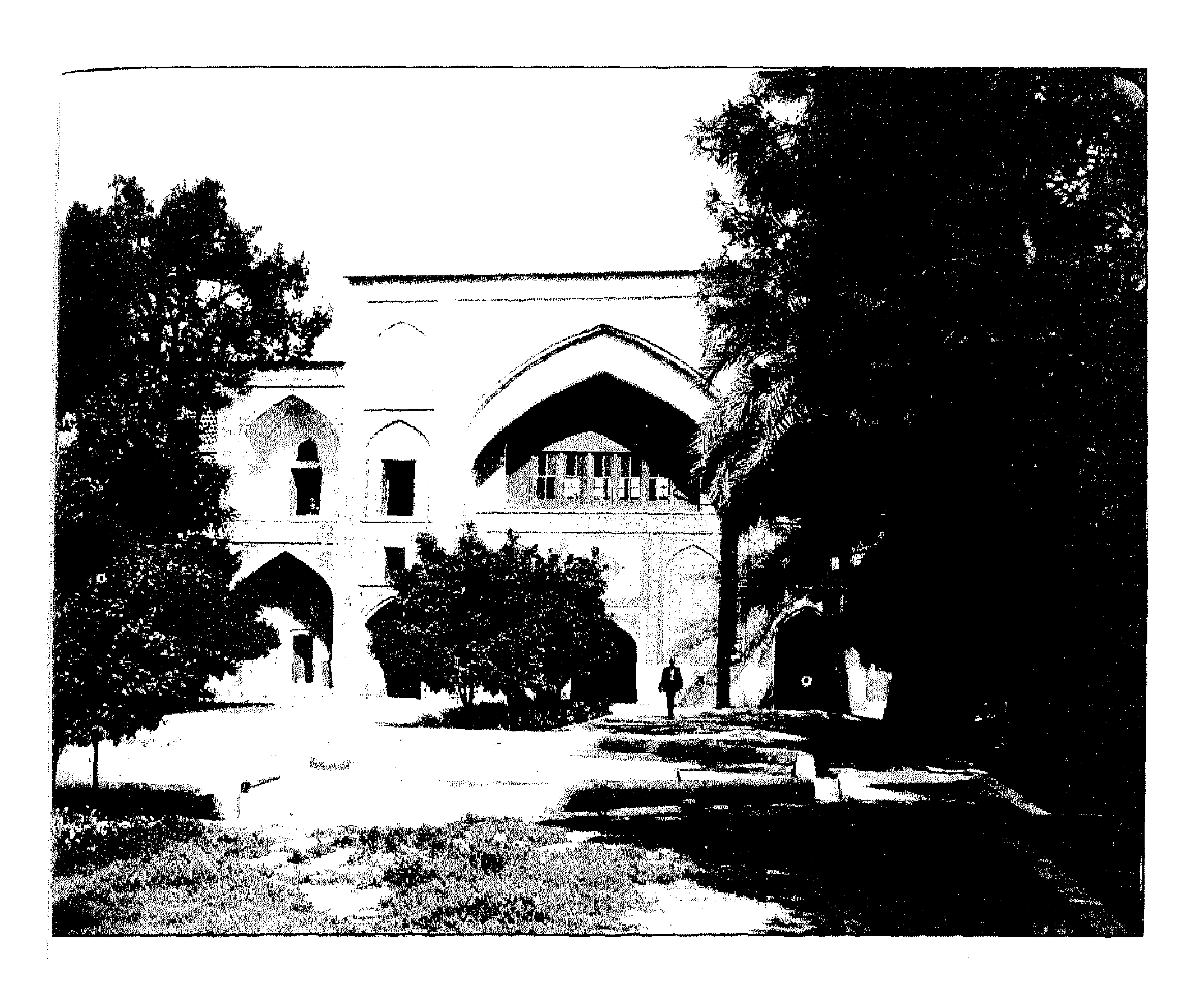
وقد استمع ابن بطوطة بعد صلاة العصر إلى قراءة في كتاب (المصابيح) وكتاب (شوارق الأنوار) للصاغاني ... وبعد أن استعرض الشيخ مع نائبه مجريات القضايا المعروضة على الحكم وتقبل تحايا الواردين عليه كما هي العادة في الصباح والمساء ، توجه إلى ضيفه الجديد الذي ورد من أقصَى بلاد المغرب ...

لقد سأله عن هويته وعن ظروف مقدمه ... وعندما عرف الشيخ أن زائره ينتسب لبلاد المغرب ، ألقَى عليه عددا من الأسئلة عن بلاده الأمر الذي أفاض فيه ابن بطوطة دون شك ... وقد سأله الشيخ كذلك عن بلاد مصر والشام والحجاز ...

وهنا أصدر الشيخ تعليماته لتخصيص شقة خاصة في المدرسة المجدية لسكنَى هذا السفير المتنقل[75] ...

---

(75) عندما كان ابن بطوطة يتحدث حديثه السابق عن (الأخية الفتيان) الموجودين بجميع البلاد التركمانية الرومية والمرصودين لخدمة الغريب والإحتفاء بالوارد (ج 2 ص : 262) شبههم في أفعالهم بأهل شيراز وأصفهان ... مؤكدا ان كرم هؤلاء أعظم وعطفهم أكثر ...



مدرسة شيراز

وقد سجل ابن بطوطة **حدثا سياسيا** وهو يقيم في مدينة شيراز ــ من شأنه أن يعطي فكرة عن نوع «التعامل» بين «السلطة المركزية» في العراق وبين هؤلاء المشايخ الذين كانوا ــ كما نرَى ــ حكاما بأمرهم لا يعترضهم أحد . . . !

لقد وصل ذلك اليوم سفير من ملك العراقين وخراسان السلطان أبو سعيد بَهَادُرخان ابن السلطان محمد الملقب خدابنده أول من أسلم من سلاطين المغول على ما نعرف .

وكان ذلك السفير هو ناصر الدين الدُّرقندي من كبار أمراء خراسان في الأصل ، وعند مثول هذا الرسول أمام الشيخ مجد الدين نزع السفير الشاشية (كلاه) عن رأسه وأهوَى على رجلي القاضي يقبلها وجلس بين يديه ماسكا أذنه بين أصابعه على نحو ما يفعل أمراء التتر أمام ملوكهم وكبرائهم . . !

كان هذا الأمير السفير قد قدم في نحو خمسمائة فارس من ممالكه وخدامه وأصحابه ، تركهم جميعا بظاهر المدينة وأقبل هو في خمسة نفر من أصحابه ، ثم اجتمع بالقاضي رأسا لرأس دون أن يرافقه أحد من هؤلاء الخمسة .

* * * *

ويستأثر ابن بطوطة هنا ــ وهو في شيراز ــ على سائر الذين بحثوا في **التاريخ العقائدي** للمنطقة بذكر المحاولة التي جرت لأول مرة ــ على ما في علمنا ــ لجعل التشيع **مذهبا رسميا** للدولة بعد أن كان الناس يقتدون هنا بمذهب الإمام أحمد ابن حنبل ... وسنسمع عن صدَى محاولة ثانية ــ وابن بطوطة في خراسان[76] ــ إن هذا المقطع من الرحلة يكوّن مرجعا

(76) ظهرت الدولة الصفوية في أعقاب هذه المحاولات فنجحت في جعل المذهب الشيعي مذهبا رسميا للدولة ، ومن باب إعادة التاريخ لنفسه أن أذكر أنني أعيش هذا اليوم

هاما من مراجع تاريخ المذهب الجعفري في ايران.

ويتعلق الأمر باستطراد من ابن بطوطة يتعلق بكرامات القاضي مجد الدين الذي يلقبه أهل المدينة (مولانا أعظم) والذي كان قد استهدف لامتحان عسير كاد يعرض بحياته للخطر في سبيل أن لا ينتقل من مذهبه السني إلى المذهب الشيعي.

كان الملك المغولي للعراق «ألْجايتو» (Oljaïtu) 703 = 1304 — 715= 1316 صحبه في أيام كفره فقيه جعفر من مدينة الحلة هو جمال الدين[77]، وقد علمنا عن وجود العناصر الإيرانية والعربية دائما في القصور الملكية المغولية — فلم ينفك جمال الدين يغري الملك بتعاليم الإسلام حتَّى هداه الله فأسلم وأسلمت بإسلامه التتر المشمولون برعايته الأمر الذي أكسب الفقيه حظوة لدَى العاهل المغولي الذي أصبح اسمه خُدَا بنْدِه: أي عبد الله.

وهنا حاول الفقيه أن يقوم بالخطوة الثانية أي أن يزين له مذهب الشيعة الإمامية، واستطاع أن يقنعه —كما يقول ابن بطوطة— بأن أبا بكر إنَّمَا كان وزيراً لرسول الله بينما كان علي ابن عمه وصهره، فهو إذن وارث الخلافة! وأعطاه مثلا مقبولا لديه —سيما والرجل حديث عهد بالإسلام— إن الملك الذي بيد (خُدَابَنْدِه) إنما هو إرث من أجداده...

= الجمعة تاسع رمضان 1399 = 3 غشت 1979 في ايران، أعيش يوم انتخاب مجلس الخبراء الذي يفصل في الدستور الإيراني الجديد الذي ينص على أن المذهب الرسمي للدولة هو الشيعة الإمامية الجعفرية...

(77) يعتبر جمال الدين حسن بن المظهر الحلي من العلماء المتبحرين في علوم المعقول والمنقول وهو أحد تلامذة خواجه نصير الدين، من كتبه (نهج الحق) و(كشف النعمة) و(منهاج الكرامة من باب الإمامة في المذهب الشيعي)، وكان يمتاز في بحوثه ومناقشاته بعدم التعصب... وقد كان موجودا في تاريخ 724، عن كتاب مجمع التواريخ لحافظ ابرو.

وهكذا أمر ملك العراق بحمل سائر أقاليمه على الإمامية[78] وكتب بذلك من مصيفه (**قره باغ**)[79] خطابات حملها عدد من المبعوثين إلى عواصم العراقين : عراق العرب وعراق العجم وإلى فارس وكرمان وآذربيجان وخراسان ... فكان أول قاعدة وصلها أولئك المبعوثون بغداد وشيراز واصفهان ...

وقد رفض أهل الكرخ[80] من بغداد الإنصياع إلى أوامر (خُدا بَنْدِه) معلنين أنهم لن يتخلوا عن المذهب الحنبلي بل وقاصدين المسجد الجامع يوم الجمعة ، وهم مسلّحون لمنع رسول السلطان من إشاعة النداء ... وفعلا وقفوا في وجهه وهو على المنبر ، وكان عددهم يربو على اثني عشر ألفا ... مهددين بالقتال إن هو أسقط إسم الخلفاء واقتصر على ذكر علي ! الأمر الذي أرغم المبعوث على الخضوع لإرادة الجمهور ..؟

وفعل أهل إصفهان وشيراز فعل أهل بغداد ، وعاد الرسل يحملون تقاريرهم اليائسة إلى الملك في مصيفه فكان من نتيجة ذلك إصدار الأوامر بإحضار قضاة المدن الثلاث ، فكان أول الحاضرين القاضي مجْد الدّين الذي قرر الملك أن يصفيه عن طريق إرسال الكلاب «الضارية»[81]

(78) هذه هي الخطوة الأولى ــ في علمنا ــ لجعل المذهب الشيعي مذهبا رسميا للدولة وقد جدَّت خطوة في خراسان على ما سنرَى ، وكانت الخطوة الثالثة كما أسلفت قريبا هي التي قام بها الصفويون الذين ظلوا على صراع بسبب هذا مع الأتراك الذين كانوا يكاتبون ملوك المغرب حول هذه الصراعات ...

(79) قره باغ الحديقة السوداء من المصطافات الجميلة في أذربايجان على مقربة من مدينة تبريز وعلى بعد ستة كيلوميترات من بحيرة رضائية ، ذو هواء طيب وماء عذب زلال ، كان مصطافا للسلطان المغولي خُدَابنده ... لغت نامة دهْخدا راجع ابن بطوطة 1 ، 170 ــ 171 .

(80) في النسخة العربية باب الأرج وفي النسخة الفارسية باب الكرخ وهي أقرب إلى الصواب ، هذا ويذكر البروفيسور جيب أن هذه الحركة تمت حوالي سنة 709 ــ 710 = 1310 .

(81) كان الملك يتوفر على كلاب ضخمة معدة لنهش الذين صدر الحكم بعقابهم حيث يجعل هؤلاء في ساحة ثم تسلط عليهم تلك الحيوانات التي تمزق الانسان تمزيقا .

عليه ، على ما جرت به العادة ، غير أن الكرامة ظهرت حيث بدت الكلاب وكأنها حيوانات أليفة تبصبص بأذنابها للقاضي ، الأمر الذي نبه السلطان (خُذَا بَنْدِه) لمركز الشيخ حيث رأيناه يهوي على قدمي قاضي شيراز ويخلع عليه سائر ثيابه[82] بل ويأخذه ليقدمه لأهله في البيت ...

وهنا عدل السلطان نفسُه كما يروي ابن بطوطة عن مذهب الإمامية وكتب إلى أقاليمه بإقرار الناس على مذهبهم الأول أي مذهب السنة بعد أن ودع القاضي إلى بلاده شيراز[83] وأعطاه مائة قرية من قرى جمكان وهو شِعْب بين جبلين طوله 24 فرسخا يشقه نهر عظيم ، بينما تنتظم على ضفتيه القرَى التي كان من أعظمها قرية ميمن (أو ميمند على ما في الأصطخري) ، ومن عجب أن نصف المسافة مما يلي شيراز يعتبر من أجمل المصطافات ، حيث يشتد البرد وينزل الثلج ويكثر شجر الجوز ... بينما النصف الآخر مما يلي بلاد خنج بال وبلاد اللار (لارستان) في طريق هرموز من المشاتي التقليدية في المنطقة وبه شجر النخيل !

وكان مما اهتم به الرحالة المغربي حديث عن والي شيراز أبي إسحاق بن محمد شاه ينجو[84] الذي يثني عليه ابن بطوطة ويذكر أن جنده يبلغ خمسين ألف من الترك والأعاجم ... ولا يفوت ابن بطوطة أن يلاحظ الفجوة بين السلطان وبين أهل شيراز نظرا لكونهم أهل بأس ونجدة

---

(82) كان من جملة الثياب التي تخلع السراويل وهي من أعظم الدلالات على الصداقة ..!

(83) اشار صاحب كتاب (شد الإزار في حط الأوزار) لمعين الدين أبي القاسم جنيد شيرازي في شرحه لحياة مولانا مجد الدين إسماعيل ... إلى ما ذكره ابن بطوطة حول كرامات مولانا مجْد الدين مما يتعلق بنجاته من الكلاب الضارية .

(84) لقب ينجو (اينجو) يعني بالمغولية مدير الأملاك هذا وتتضافر الدلائل على أن بعض هذه المذكرات كان مما يتعلق بزيارته الخامسة إلى ايران عام 1347 ويذكر جيب وهيربيك ومونطي من هذه الأدلة مثلا أن أبا إسحاق ابن محمود إنجو إنما أصبح واليا على شيراز من 1343 إلى 1357 ... وهكذا فمن المحتمل أن التواريخ التبست على ابن بطوطة عند إرادة تسجيل المذكرات ...

وجرأة ، وقد شاهد ابن بطوطة نفسه بعض المواطنين الشيرازيين المتابعين الذين ضبطوا متلبسين بحمل السلاح المحظور ... الأمر الذي يفسر اعتماد السلطان في انتخاب بطانته على أهل أصفهان ...

وقد صارت شيراز[85] إلى أبي إسحاق بعد أن تغلب كل أمير على ما بيده ، عندما مات ملك العراق وانقرض عقبه .

بل إن أبا إسحاق هذا تغلب على أصفهان وبلاد فارس ... مسيرة شهر ونصف الشهر – كما يقول ابن بطوطة – وطمحت نفسه إلى تملك ما يليه فبدأ بمدينة (يزد) التي وصفها الرحالة المغربي – بالرغم من أنه لم يذكر هل ما إذا كان زارها – بالحسن والنظافة وترتيب الأسواق واطراد الأنهار ونضارة الأشجار ... وأن تجارها يعتنقون مذهب الشافعية ... ويستطرد ابن بطوطة هنا فيعطي فكرة عن تقدير أبي إسحاق لشجاعة المقاتلين في (يزد) ولو أنهم كانوا يكبدونه أفدح الأضرار .. إن الإعتراف بالأبطال بطولة ما في ذلك شك !

---

(85) كانت شيراز في بداية الأمر تحت ولاية الأمير محمود شاه من قبل أبي سعيد ملك العراق الذي لم يلبث أن أقصى محمودا الذي دخل السجن فيما يبدو ، حيث سنراه يعدم أيام خلف أبي سعيد السلطان أرباخان . وقد جعل السلطان أبو سعيد مكان محمود أمير الأمراء الشيخ حسين ابن الجوبان وبعث معه بالجند ، فضبط جباية المدينة التي تصل يوميا حسب ما ذكره لابن بطوطة الوزير قوام الدين التمغاجي (ت 791 = 1389) إلى عشرة آلاف دينار فضية أي ما يعادل في المغرب ألفين وخمسمائة دينار ذهبية كما يروي الرحالة نقلا عن قوام الدين وقد أقام بها الأمير حسن مدة قبل أن تمتنع عليه البلدة بسبب قبضه على أولاد محمود شاه وزوجته الأميرة طاش خاتون ومحاولة نقلهم إلى العراق لمطالبتهم بالأموال التي توفرت لوالدهم ، لقد استطاعت الأميرة أن تحرك عواطف أهل شيراز وتلهب حماسهم حيث هاجت العامة وخلصت السيدة وأولادها من الأسر ... وأمام انكسار حسين بعث أبو سعيد بحملة عسكرية كثيفة معه وحينئذ التجأ الناس إلى القاضي مجد الدين الذي توسط بين الفريقين ، وصدر العفو ، وقبل السكان ابن الجوبان ، لكن هذا لم يلبث – وقد سمع عن وفاة السلطان أبي سعيد وانقراض عقبه – أن لاذ بالفرار تاركا شيراز لأبي إسحاق الذي أضاف إليها أقاليم أخرى .
ابن بطوطة ج 2 ، ص 467 .



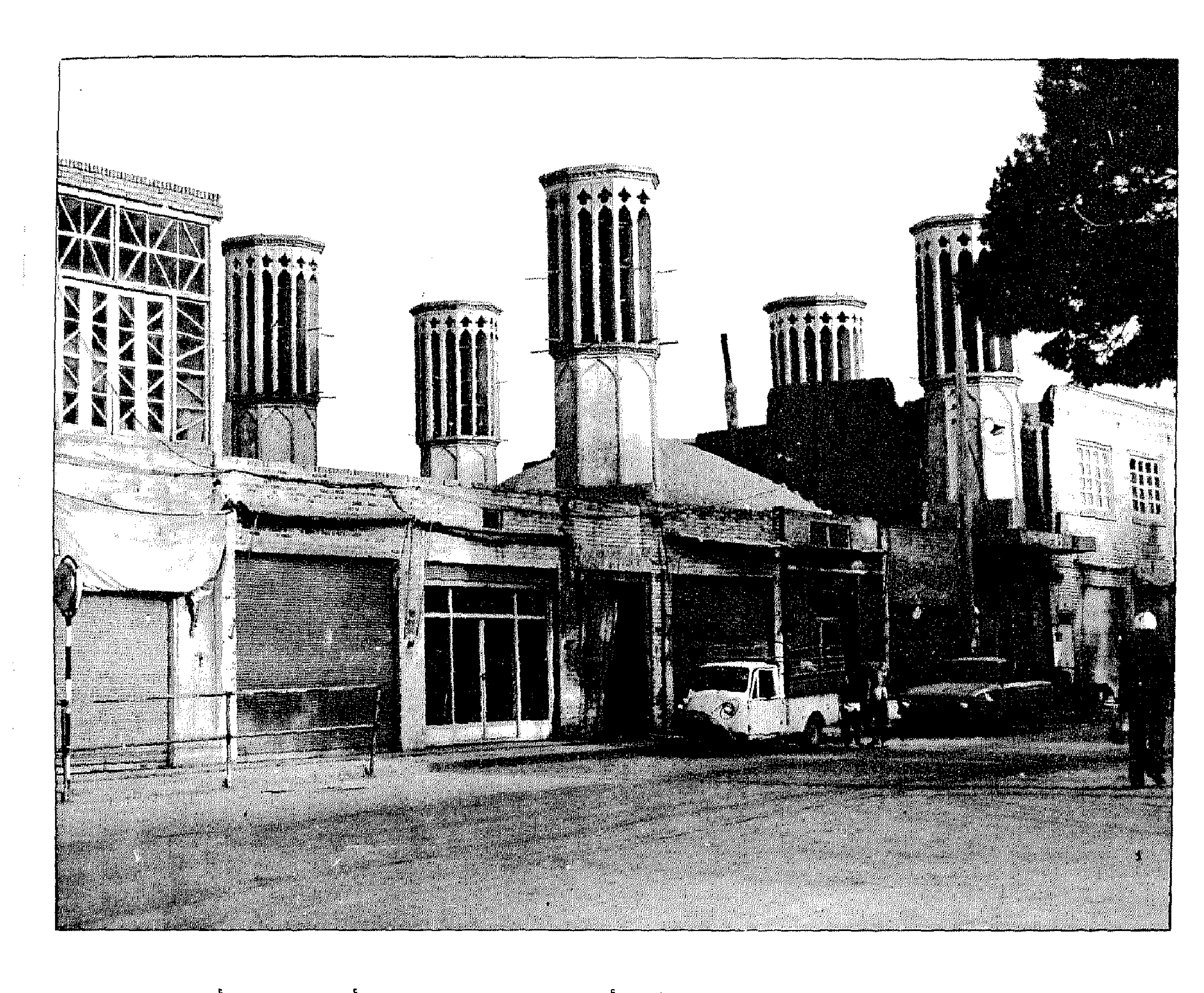
جامع یزد

لقد فوجئ أبو إسحاق وهو يقاتل يزد بالمقاومة الضارية التي ظهرت في الأمير مُظفر شاه ابن الأمير محمد شاه الذي تحصن بقلعة منيعة على ستة أميال من يزد ... لقد ظل بما معه من قوة محدودة يشن على عساكر أبي إسحاق غارات موجعة ويسلط عليه عصابات تغنم وتقتل وتعود سالمة دون أن يصيبها سوء ... وهنا رأينا أبا إسحاق يقوم بخلع ردائه على أحد الأسرى «الأعداء» من الذين أبلوا البلاء الحسن في عسكره ! وكان هذا طليعة لتبادل الرسائل بين أبي إسحاق وبين مظفر الذي تحول كره السلطان له إلى تقدير وحب ... وهكذا تم اللقاء المباشر في داخل القلعة التي اشترط مظفر أن يتم بها التفاوض ... وكان الإتفاق على أن تكون الخطبة باسم السلطان وتعود البلاد لمظفر وأبيه ...

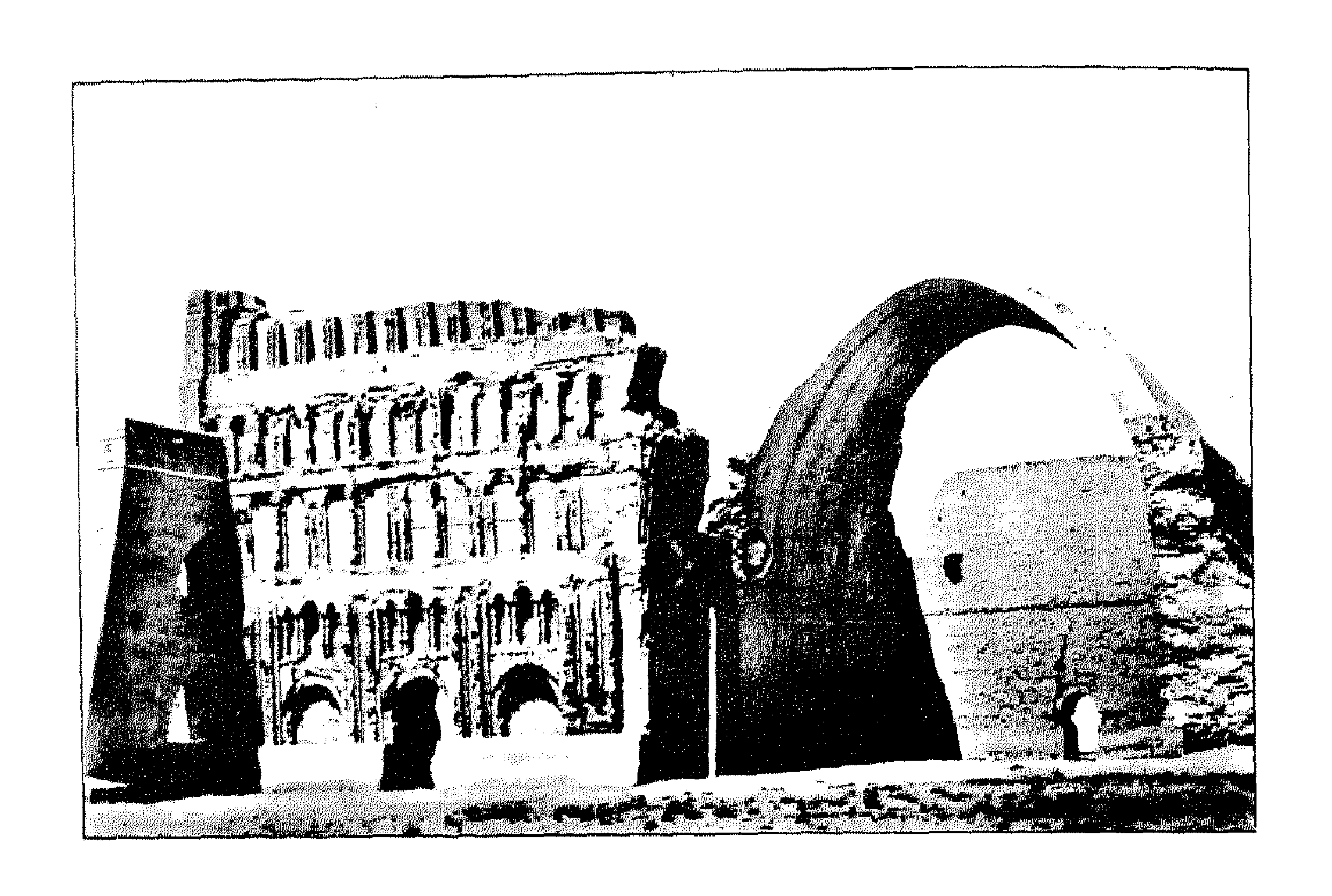
ويتحدث ابن بطوطة عن مشروع أثر من الآثار لو كان تم إنجازه لأصبح في عداد عجائب الدنيا ... ويتعلق الأمر ببناء قصر ضخم على نحو القصر الذي بناه الساسانيون بضواحي بغداد والذي يعرف بايوان كسرَى (Evâne Khosro) حيث سلمان باك أو سطيسِفون (Stesiphon)

لقد طمحت همة السلطان أبي إسحاق ينجو ذات مرة إلى بناء الإيوان وأمر أهل شيراز أن يتولوا حفر أساسه ... وكان أهل الصناعة يباهون كل من عداهم ... حتّى لقد صنعوا القفاف لنقل التراب ، من الجلد وكسوها ثياب الحرير المزركش وفعلوا نحو ذلك في إكافات الدواب وأخراجها وصنع بعضهم الفؤوس من الفضة ، وكان الناس يوم تدشين عملية حفر الأساس يوقدون الشموع الكثيرة ويلبسون أجمل ما عندهم من الثياب ويربطون فوط الحرير على أوساطهم والسلطان أبو إسحاق يشرف على نشاطهم في منظرة له ...

وقد كان ابن بطوطة المغربي أبرز شاهد عالمي عاين هذا المبنى بعد أن ارتفع عن الأرض نحو ثلاثة أذرع على حد تقديره ... ولما بُني أساس



هذه الصوامع مكيفات للهواء في يزد ويمكن أن تقف على العشرات من أمثالها في دبي أو في البحرين وهي تحمل إسم باد كير *(Bad Gîr)*



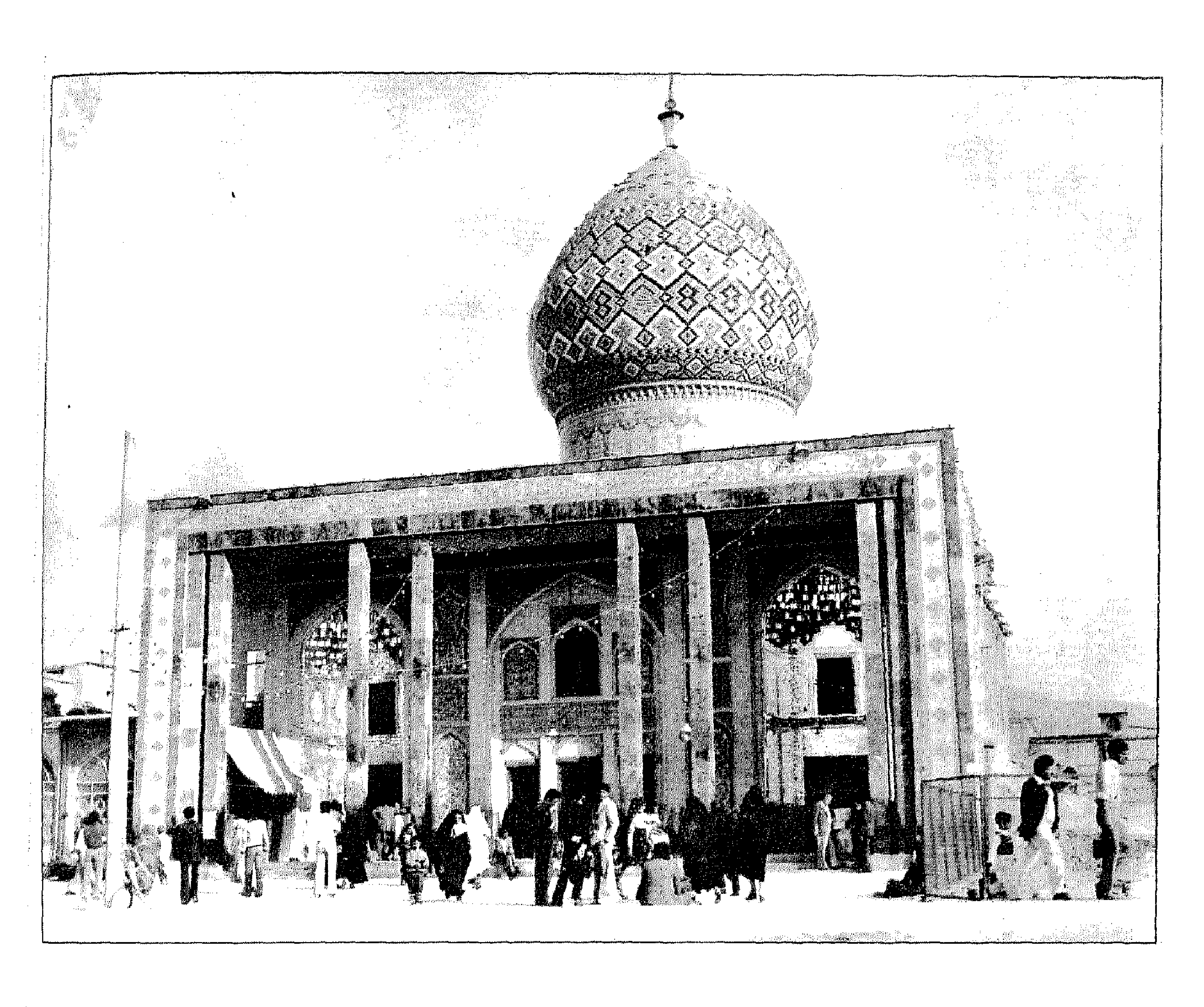
ايوان كسرى

الإيوان رفع الملك عن أهل المدينة كلفة العمل دون تعويض ، وهكذا أصبح العمال يتقاضون أجورهم بعد أن مرت الأيام الأولى ، فصاروا يحشرون بالآلاف حتّى لكان معظم جبايات المدينة ينفق على ذلك البناء الذي كان يشرف عليه الأمير جلال الدين بن الفلكي التوريزي[86] .

لقد حاول ابن بطوطة أن يجد نوع شبه بين سلطان شيراز أبي يعقوب وبين سلطان الهند محمد شاه الذي كان مضرب المثل في السجايا والعطايا ، والذي ظلت أساطيره ماثلة في مخيلة الرحالة المغربي حتّى وهو بين جدران شيراز .

ولم يُنس مشروع (الإيوان) ابن بطوطة فيما يوجد من معالم ومشاهد في

(86) التوريزي نسبة إلى (توريز) وهي بالذات تبريز راجع تعليقنا على ابن بطوطة وهو في تبريز .



مسجد شاه چراغ في شيراز *(chàh sheràq)*

شيراز ولذلك وجدناه يقدم لنا عددا من تلك المزارات التي توجد بداخل مدينة شيراز .

وقد كان منها مشهد أحمد بن موسَى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب[87] ، وهو أخ لعلي الرضا دفين (مشهد) من خراسان ... وهو مشهد ولو أنه لم يصل في بنائه وعظمته إلى ما يوجد عليه مشهد الرضا ، لكنه مقصد للمتبركين والمتوسلين وهو المعروف باسم (شاه جراغ) وقد بنت عليه طاش خاتون والدة السلطان أبي إسحاق مدرسة كبيرة وإلى جانبها زاوية تتوفر على الزاد اللازم للواردين والصادرين ، ويحتضن المشهد قراء القرآن على التربة التي تقصدها الخاتون كل ليلة اثنين فتجلس في غرفتها المطلة على المسجد حيث يجتمع لذلك القضاة والفقهاء ، وكذلك آل البيت الذين تزخر بهم المدينة[88] . هناك يتبارَى الحاضرون على ختم القرآن في المصاحف ، وتلاوة القرآن للآيات بأصواتهم الحسنة ...

ويتميَّز الإجتماع بتقديم الأطعمة والحلويات والفواكه قبل أن يقوم الواعظ بتزويد الحاضرين بما ينفعهم في معادهم ويختم الإحتفال بضرب الطبول ونفخ الأنفار والبوقات على باب المشهد على نحو ما يفعل عند أبواب الملوك الأحياء ...

ثم مشهد الشيخ أبي عبد الله ابن خفيف قدوة بلاد فارس ... الذي يأتيه الناس من كل حدب وصوب للتبرّك والتأمل على اختلاف طبقاتهم بما فيهم الخاتون التي تزور المشهد كل ليلة جمعة حيث يلتقي القضاة

---

(87) يعرف هذا المشهد اليوم باسم (شاه جراغ) وقد بني سنة 744 = 1343 وأعيد بناؤه سنة 912 = 1506 ثم سنة 1259 = 1843 .

(88) يذكر ابن بطوطة أن عدد السادة الشرفاء بالمدينة كان يبلغ ألفا وأربعمائة ونيفا ... وأن نقيبهم هو عضد الدين الحسيني .

والفقهاء قريبا من الزاوية والمدرسة على نحو ما يكون في مشهد أحمد بن موسى أخي الرضا ، وعلى صلةٍ بتربة الشيخ ابن خفيف يوجد ضريح الأمير محمد شاه ينجو والد السلطان أبي إسحاق ، وقد رأى ابن بطوطة القاضي مجد الدين يستلم ضريح الشيخ ابن خفيف الذي يمعن ابن بطوطة في تتبع كراماته وأخباره حتَّى لما كان بجبل سرنديب ..

وقد كان من مشاهد شيراز مشهد الشيخ روزبهان بقلي (1128 — 1209) حيث يفضل القاضي مجد الدين أداء صلاة الجمعة في مسجده اعتقادا في هذا الولي الصالح الواصل[89] .. وبهذا المسجد سمع ابن بطوطة على القاضي المذكور كتاب مسند الإمام الشافعي معنعنا إلى أن وصل إلى الشافعي ، وبه سمع عن القاضي أيضا «كتاب مشارق الأنوار» للإمام الصاغاني مسندا حتَّى مصنفه ...

وقد كان من المشاهد التي زارها مشهد الشيخ زركوب أو الشيخ الذهبي[90] الذي كان يشتمل كذلك على زوايا خاصة لتزويد الواردين بما يحتاجون إليه .

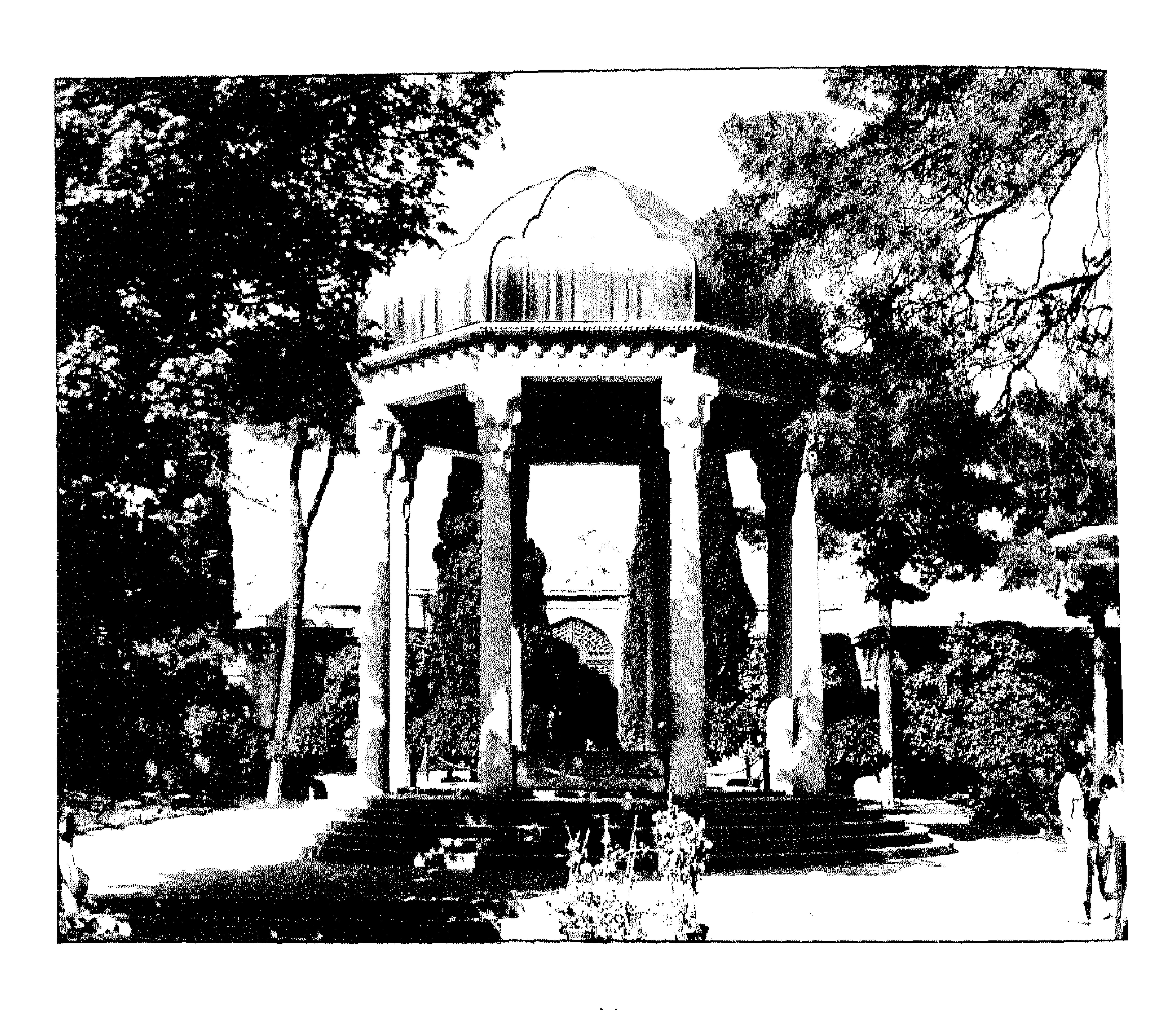
وقد أثار انتباه ابن بطوطة أن بعض العائلات في شيراز تفضل أن تجعل للأقربين منها — عندما يموتون — أضرحة داخل البيوت التي يسكنونها إمعانا في التعبير عن تعلقهم ، فكأن الميت لم يبرح ساحتهم وهم يرصدون للميت من يتلو عليه آيات من كتاب الله بالأصوات الحسان التي اشتهر بها قراء شيراز ...

وبعد أن يحكي كشاهد عيان عن بعض مظاهر التصوف التي كانت تهيمن على البلاد يقدم أيضا مشهد الشيخ السعدي الذي نعته بأنه «أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي وربما ألمع في كلامه بالعربي «وهكذا يكون ابن

---

(89) Luis Massignon : la vie et les œuvres de Rusbehân Baqli, Copenhague

(90) تعني كلمة زَر كوب (Zar-Kub) الذي يصوغ الذهب (Batteur d'or)



ضريح حافظ شيرازي...

بطوطة أول من تحدث لأهل المغرب عن ثالث شعراء العصر المغولي الأول : فريد الدين عطار وجلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي[91] .

لقد استراح ابن بطوطة في الزاوية التي كان قد عمرها سعدي ... وكان بداخلها بستان جميل بقرب رأس النهر الكبير المعروف بركن آباد ... وقد كان الشيخ السعدي صنع هناك أحواضا صغارا من المرمر لتنظيف الثياب ... حيث اعتاد سكان شيراز الخروج من المدينة لزيارته والأكل من سماطه وغسل ثيابهم على ضفة ذلك النهر قبل أن ينصرفوا !

ولم يخف ابن بطوطة أنه لم يشذّ عن سكان شيراز ، حيث نراه يقوم لنفس الأغراض بزيارة الزاوية التي لا تبعد عن زاوية أخرى يرقد فيها الفقيه شمس الدين السمناني ...

كان ختام حديث ابن بطوطة عن شيراز يتعلق بتقديم الفقيه الشريف مجيد الدين ...

* * * *

ومن شيراز قصد الرحالة المغربي مدينة كازرون على بعد يومين من المدينة الأولى وكان قصده ــ على ما يذكر ــ زيارة ضريح الشيخ أبي

---

(91) ولد سعدي حوالي سنة 580 = 1184 وقد مات عن سن يجاوز المائة 691 = 1291 وقد فقد أباه في سن مبكرة كما تدل على ذلك قصيدة رائعة يقول فيها من جملة ما يقول :

وإذا رأيت يتيما قد خفض رأسه في ذلة وانكسار
فحذار أن تقبل أمامه واحدا من أولادك الصغار !
فلقد كانت رأسي يعلوها تاج ذهبي
عندما كنت أعيش هانئا في كنف أبي
وكانت إذا حطت ذبابة واحدة على جسدي
اضطربت أذهان جملة من الناس خوفا من غضبي ...!

إدوارد براون : تاريخ الأدب في ايران ، تعريب د. إبراهيم الشواربي ، مصر 1954 ، ص 669 .

إسحاق الكازروني [92] ، حيث نراه يقضي أول يوم بالبلاد التي كانت معروفة تحت اسم قبيلة الشول [93] وهم كما يذكر طائفة من الأعاجم ... كانوا يسكنون تلك البرية .

لقد وصل ابن بطوطة كازرون في اليوم الموالي حيث حقق أمنيته في زيارة الشيخ الكازروني وحيث تناول (الهريسة) [94] التي تقدم عادة للواردين على المشهد ... وقد وجدها ابن بطوطة مناسبة ليعرف بمركز الشيخ الكازروني عند أهل الهند والصين الذين يخصونه بالعديد من النذر والعطاء ...

ومن كازرون قصد مدينة الزيدين [95] التي تحتضن قبر زيد بن ثابت وقبر زيد بن أرقم والتي تضم عددا من البساتين والمياه والأسواق والمساجد . وقد تعرف من أهلها الصالحين المصلحين على قاضيها نور الدين الزيداني ...

ومن الزيدين قصد بطريق البحر ، فيما يتأكد ، مدينة (الحويزة) [96] التي قال عنها إنها يسكنها الفرس وبينها وبين البصرة أربعة أيام ... وإلى

---

(92) أبو إسحاق الكازروني (963 = 1035) دفين كازرون أسس طريقة صوفية نشيطة من الأناضول إلى الهند إلى الصين . راجع ابن بطوطة 4 ص 89 – 103 – 279 .

(93) اختفت بلاد الشول باستثناء الاسم (Shulestain)

(94) الهريسة في بلاد المشرق تتألف من نشويات خلافها في (تونس) حيث يعني بها معجون الفلفل الحار .

(95) زيدان يقع بين أرجان (بهبهان الحالية) وبين دورق (فلاحية) من تعليق بالفارسية .

(96) الحويزة تصغير حوزة قرية في خوزستان، نشأ بها عدد من المحدثين والعلماء وأعتقدها تفيد المعنى الذي تفيده اليوم معنًى (الحوزة) في قم أي مجمع العلماء ، وقد يحرف إسمها في الفارسية إلى (هويزة) بالهاء ... وإليها ينتسب أيضا الشيخ عبد علي الحويزي الذي فسر القرآن بعنوان : (نور الثقلين) وهو تفسير للقرآن بالأحاديث .
نعمة الله الجزائري : زهر الربيع ص 59 ، 1431 د. منذر عبد الكريم البكر : الجذور التاريخية لعروبة الأحواز قبل الإسلام بغداد – 1981 .

الحويزاء ينتسب الشيخ جمال الدين الحويزائي شيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة ... ومن الحويزاء إلى مدينة الكوفة ...

وهكذا رأينا ابن بطوطة يودع ايران دون ما أن يكون كثير الحرص على أن يأتي – وهو في طريق العودة – على ذكر سائر المواقع بتدقيق ... ذلك لأنه عودنا أن يكون أكثر شوقا عندما يكون في طريقه الأولى إلى الهدف ، فإذا عاد كان أقل حماسا وبخاصة إذا عاد من نفس الطريق التي سلكها في البداية ...

* * * *

الزيارة الثانية 727 / 1327

وقد تمت الزيارة الثانية من ابن بطوطة لشمال غربي ايران عندما خرج للسياحة ضمن ركب السلطان أبي سعيد بهادر ابن السلطان خُدا بَنْده ... سلطان العراقين وخراسان ، وقد صادفه بعد أن أنهَى زيارته لمعالم بغداد التي لم يذكر منها ضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني على كل حال(97) .

وكانت الرحلة أوائل شعبان 727 = أواخر يونيه 1327 حيث خرج من بغداد مع محلة إيلخان أبي سعيد بغرض مشاهدة تشريفات تنقل العاهل المذكور حتَّى يقدم بذلك وصفا لمن يريد مقارنة مواكب المغول بمواكب الموحدين في المغرب أو الفاطميين والأيوبيين أو المماليك بمصر ، كما أوردها القلقشندي في الجزئين الثالث والرابع من صبح الأعشَى(98) ...

---

(97) علل هذا الإهمال لضريح الشيخ من طرف الأروبيين باعتباره كان آنذاك خرابا بعد أن دهم المغول أراضي العراق . راجع الخطاب الذي استقبل به د. عبد الهادي التازي زميله الأستاذ أبا بكر القادري بمناسبة انتخاب هذا الأخير عضوا في أكاديمية المملكة المغربية عام 1981 .

(98) قدم ابن بطوطة وصفا جميلا لتشريفات تحرك موكب ملك العراق فيذكر أن العادة جرت على أنهم يرحلون عند طلوع الفجر وينزلون عند الضحَى ، وترتيبهم يكون على الشكل التالي : يأتي كل أمير من الأمراء بعسكره وطبوله وراياته فيقف في موضع لا يتعداه قد عين له إما في الميمنة أو الميسرة ، فإذا توافوا جميعا وتكاملت صفوفهم ركب الملك وضربت طبول الرحيل وأبواقه وأنفاره ... وأتَى كل أمير فسلم على الملك وعاد إلى موقفه ثم يتقدم للسلام على الملك الحجاب والنقباء ثم يليهم أهل الطرب وهم نحو مائة رجل عليهم الثياب الحسنة وهم على مطايا الملك وأمام أهل الطرب عشرة من الفرسان قد تقلدوا عشرة من الطبول ، وخمسة من الفرسان كذلك لديهم خمس غيطات (صرنايات) ثم يمسكون ، ويغني عشرة من أهل الطرب نوبتهم فإذا قضوها ضربت تلك الأطبال والصرنايات ، ثم أمسكوا وغَنَّى عشرة آخرون نوبتهم هكذا إلى أن تتم عشر نوبات ... فعند ذلك يكون النزول ... ويكون عن يمين السلطان وشماله حين سيره كبار الأمراء وهم نحو خمسين ... ومن وراء أصحاب الأعلام والطبول والأنفار والأبواق ثم مماليك السلطان ثم الأمراء على مراتبهم ، وكل أمير له أعلام وطبول وبوقات... ويتولى ترتيب ذلك كله أمير جَنْدر وتحته جماعة كبيرة... وإذا وصل الموكب إلى المعسكر نزل

ولم يلبث أن انفصل بعد عشرة أيام في المحلة ليصحب الأمير علاء الدين محمد[99] إلى مدينة تبريز... التي وصلها بعد عشرة أيام...

ويتأكد أن ابن بطوطة لم يكن في هذه الزيارة يتوفر على الحرية الكاملة للمقام أين شاء والتحرك أين شاء ولا كذلك للبحث عن الشخصيات العالمية أو الأماكن الصالحة التي يسمع عنها في آذربيجان لأنه لم يكن حرا في تنقلاته، فقد كان في ركب أمير، وليس في وسعه، والحالة هذه، أن يفرض منهاجه. ومع ذلك فلابد أن نفترض أن ركب ابن بطوطة تحرك من بغداد في اتجاه (خانقين) حيث كان على الركب أن يختار المناطق الكردية (ياوه) — (سنندج) ويخترق من جديد جبال زاكروس صوب منطقة مراغة شرقي ضاية رضائية، قبل أن يقصد شمالاً مدينة تبريز... مراحل كثيرة هنا طويت مع العشرة الأيام التي قضاها في الطريق، وكان الحديث عن تفصيلها — لو تحقق — مما يخدم جغرافية كردستان وأذربيجان...

وهكذا أنزله الأمير المذكور بظاهر عاصمة إقليم أذربيجان الشرقي في

= الملك وممالكه في محلة على حدة وتنزل كل خاتون في محلة على حدة، ولكل واحدة منهن الإمام والمؤذن والقراء وسوق خاص بها، وينزل الكتاب وأهل الأشغال على حدة ويأتون جميعا إلى الخدمة بعد العصر وينصرفون بعد العشاء الأخيرة وهم يحملون المشاعل... فإذا كان الرحيل ضرب الطبل الكبير ثم يضرب طبل الخاتون الكبرى التي هي الملكة ثم أطبال سائر الخواتين.. ثم طبل الوزير ثم أطبال الأمراء دفعة واحدة ثم يركب أمير المقدمة في عسكره ثم يتبعه الخواتين ثم انتقال السلطان وزاملته وأثقال الخواتين ثم أمير ثان في عسكر له يمنع الناس من الدخول فيما بين الأثقال والخواتين ثم سائر الناس: ... لقد ظل ابن بطوطة في المحلة عشرة أيام قبل أن يتوجه إلى تبريز... 128.

(99) يظهر أن الأمير علاء الدين محمد الذي بقي معه ابن بطوطة ليلازمه إلى تبريز، هو الأمير علاء الدين محمد الخراساني... راجع تعليق رقم 1، من صفحة 252، من الترجمة الفارسية لرحلة ابن بطوطة.

موضع يعرف بالشام حيث وجد ضريح قازان ملك العراق[100] ، وقد شيدت عليه مدرسة جميلة وزاوية تحتف بها الأنهار والأزهار وتتوفر على الطعام المتنوع للواردين والصادرين.

وفي اليوم الموالي من مقامه بهذه الزاوية قصد المدينة تبريز التي كانت ملتقَى القوافل بين امبراطورية المغول وبين ممالك أروبا[101] فدخلها من باب يحمل إسم باب بغداد حيث بلغ إلى سوق عظيمة تعرف بسوق قازان ويقول عنها الرحالة المتجول : انها من أحسن الأسواق التي رآها في بلاد الدنيا تنظيما وترتيبا ... فلقد اختصت كل صناعة بجهة في السوق لا يخالطها غيرها ...

وقد وجد ابن بطوطة نفسه لسبب أو آخر في سوق الجوهريين حيث احتار بصره مما رآه من أنواع الجواهر... بأيدي ممالك حسان الصور يرتدون فاخر الثياب وأوساطهم مشدودة بمنادل الحرير ، وهم بين أيدي التجار يعرضون الجواهر على السيدات التركيات اللاتي يتنافسن في اقتنائه بشكل أدهش ابن بطوطة حتَّى لاستعاذ بالله من فتنة الحركة ! إن تبريز لا تبعد عن الحدود التركية إلا قليلا ...

ومن سوق الجواهر إلى سوق العطور حيث شاهد متاجر العنبر والمسك التي تزدحم على أبوابها كذلك نساء الأتراك ...

(100) قازان تعني بالتُّترية القِدر ، وكان عادة التتر أنهم يسمون المولود بأول داخل إلى البيت عند ولادته ، وقد سمي بذلك لأنه لما ولد دخلت الجارية تحمل القدر ... وقازان أخو خُذا بنده ، ويعتبر قازان طاغية التتر والمغول.

(101) أفرد اعتماد السلطنة في كتابه (مرآة البلدان) فصلا مسهبا للحديث عن تبريز أو توريز كما ينقل عن ابن حوقل ، وقد كان ممن اعتمدهم أيضا ابن بطوطة على نحو ما رأيناه يفعل في اصفهان وخراسان وايذج وتستر ... وقد عرض لتاريخ بناء المدينة من طرف زبيدة زوجة هارون الرشيد سنة 175 كما عرض للزلازل التي ضربتها والإصلاحات والترميمات التي أعقبتها . وكذلك للمشايخ والعلماء الذين ينتسبون إليها من أمثال الشيخ محمود شيستري ومحمد شرين المغربي ...
مرآة البلدان ص 395 .

وقد وصل ابن بطوطة إلى المسجد العتيق في تبريز الذي ما تزال آثار له إلى الآن حيث نسمع وصفا لهذا الجامع الذي عمره الوزير علي شاه الذي يعرف بجيلان(102) والذي ازدانت جدرانه بالقاشاني(103). وهو يتوفر على صحن مفرش بالمرمر وقد شق بنهر ... وقد غرس بأنواع الأشجار ودوالي العنب وشجر الياسمين ... لقد بقيت من هذا المسجد آثار تحمل الآن إسم (أرك) أي الحصن أو البرج(104) ... وبخارج المسجد عن يمين مستقبل القبلة مدرسة ... أظنها (المدرسة الفلكية) التي لم يتيسر لابن بطوطة تذكرها والحديث عنها، إلا عندما التقى — وهو في الهند — بالأمير هبة الله الفلكي التبريزي الذي كان والده نائب الوزير بالعراق(105). وعن يمينه زاوية لا تختلف عن المدارس والزوايا المنتشرة في المنطقة كلها ...

ويذكر ابن بطوطة أن من عادة أهل تبريز أن يجلسوا لتلاوة القرآن في صحن المسجد بعد عصر كل يوم، حيث يقرأون سورة يس وسورة الفتح وسورة عم ...

لقد قضى ليلته في مدينة تبريز ... ويظهر أن نيته كانت تقصد إلى تمديد المقام، لولا وصول أمر من السلطان أبي سعيد إلى الأمير علاء الدين بأن يعود اليه.

وهكذا فكما أشرنا لم تكن لابن بطوطة حرية البحث عما يريد ومن يريد ... واضطر إلى العودة مع الركب، دون أن يتمكن من «لقاء أحد من العلماء في تبريز ...» وتلك عادة الذين يسيرون في ركب الأمراء ...

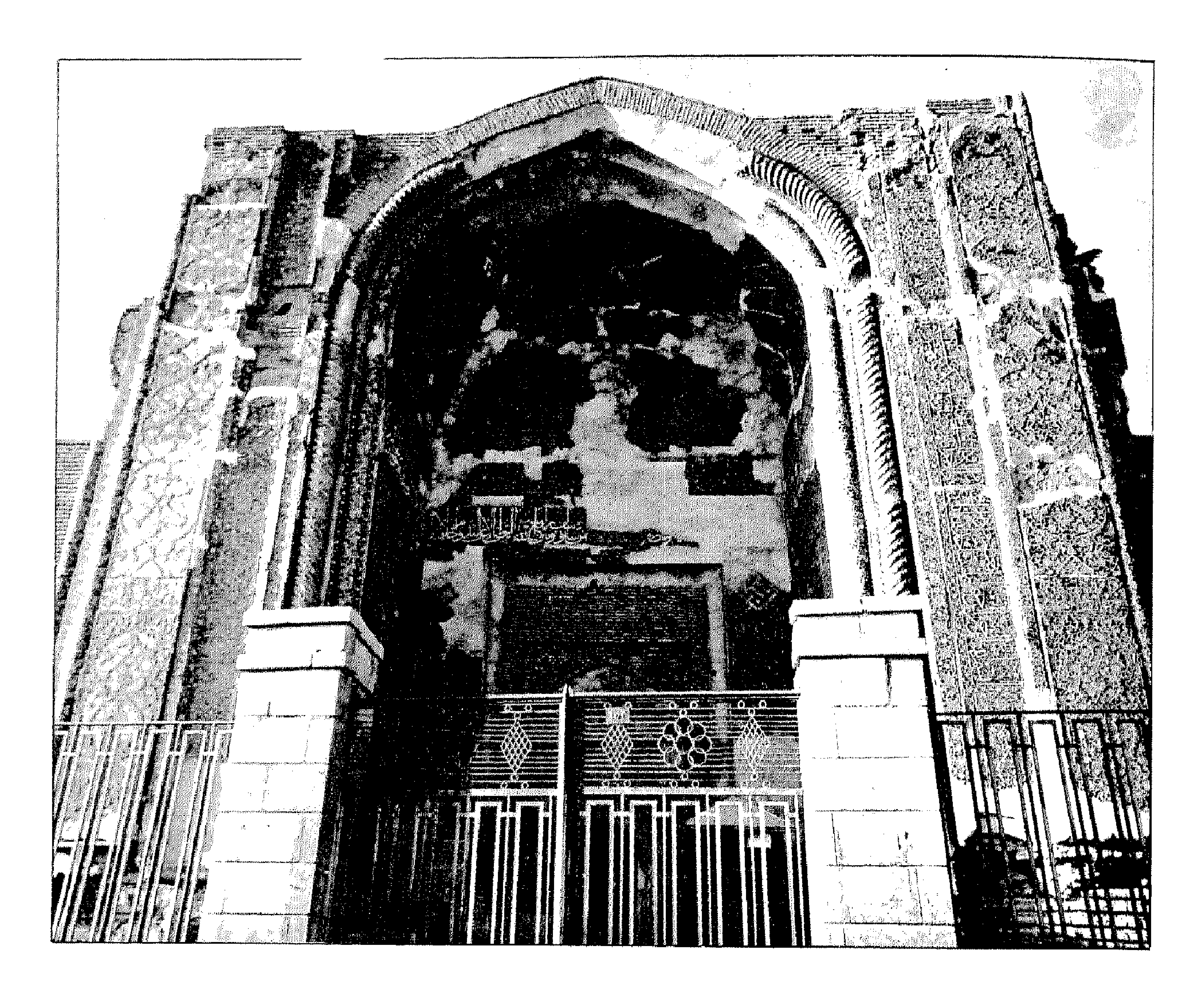
---

(102) ورد في وصف آقسرائي لهذا المسجد : لم أر نظيرا لهذا المسجد في سائر أطراف العالم الإسلامي باستثناء مسجد دمشق (مسامرة الأخبار) ص 315.

(103) نسبة إلى كاشان المعروفة منذ القرن العاشر بصنع هذا النوع الرفيع من الزليج ...

(104) يوجد في تبريز مسجد مشهور باسم المسجد الأزرق Masjede Kabud لكنه يتأخر عن زمن ابن بطوطة فهو من منشآت أواخر القرن الخامس عشر ...

(105) الرحلة 3، 394.



جامع تبريز...

ولم يهتم ابن بطوطة أيضا بتعداد المراحل التي أخذ في اجتيازها قبل أن يصل — مع الأمير علاء الدين — إلى محلة السلطان ...

وهنا وفي هذا المعسكر الذي يجهل أين كان موقعه ، قدم الأمير علاء الدين الرحالة المغربي إلى السلطان أبي سعيد ، ومن المفيد أن نذكر أن ابن بطوطة اغتنم الفرصة في هذه المرة أيضا ليقدم بلاده المغرب إلى السلطان أبي سعيد الذي كان مهتما بمعرفة هوية هذا الوارد ...

وقد غمره أبو سعيد بلطفه فأهداه الكساء وأركبه المطية ... وحينما أخبر السلطان من طرف الأمير أن ابن بطوطة يقصد بلأد الحجاز أمر له بالزاد ومرافقة ركب المحمل الذي جرت العادة بتوجهه من بغداد إلى الديار المقدسة ، إن الوقت وقت حج كما نرَى ... وهكذا وصل ابن بطوطة إلى بغداد حوالي أول رمضان 727 = 21 يوليه 1327 ومعه خطاب السلطان إلى أمير بغداد الذي كان يحمل إسم خواجه معروف ، والذي قام بتنفيذ الأمر الصادر إليه فيما يمس ابن بطوطة .

كانت زيارة خاطفة إلى تبريز ولكنها فتحت للرحالة المغربي آفاقا جديدة لمواصلة منهاجه السياحي .

* * * *

الزيارة الثالثة 1331/731

وقد تمت الزيارة الثالثة لايران من الجهة الجنوبية الشرقية حوالي ذي القعدة 731 = غشت 1331 [106]، حيث وجدناه يعبر الخليج في اتّجاه هرموز[107] ... أو (موغ ستان) (مغستان) التي تعتبر قسما من كرمان وهي أي هرمز تقع على ضفاف الخليج ... ويؤكد ابن بطوطة على أنه وهو في ذلك الإتجاه حط في الجزيرة التي تحمل نفس الإسم والتي تنعت بالجديدة وهي تبعد عن بلاد هرمز الأولى بثلاثة فراسخ[108] وعاصمتها تعرف باسم جرون (Jarun) المعربة عن كارون.

(106) بينما يذكر هربيك (Hrbek) أن الرحالة المغربي غادر عمان في بداية أكتوبر 1331 = 27 حجة 731، نجده يقوم بتحليل يفترض بمقتضاه أن ابن بطوطة لم يقم بالذهاب إلى هرمز إلا في سنة 1347 عندما كان عائدا من الهند والصين...

(107) كانت مدينة هرموز في العصر الوسيط الميناء التجاري الأكثر أهمية بالنسبة لبلاد فارس بل ولبلاد الشرق الأوسط، تقع على ساحل كرمان عند مدخل الخليج، وقد تحول نشاطها من طرف الحاكم حوالي سنة 770 = 1300 إلى جزيرة جرون (Jarun) أو هرموز الجديدة الأمان ودخلت تحت حكم المغول سنة 1262 وقد مر منها الرحالة الايطالي ماركو بولو سنة 1272 ـ 1293، وقال عنها إنها كبيرة وأنها مدينة تجارية. ويذكر صاحب كتاب (مطلع السعديين) و(مجمع البحرين) I، ص 747 ـ 749 أنه ميناء لا مثيل له في العالم وأن تجار الأقاليم السبعة من مصر والشام والروم وأذربيجان وعراق العرب والعجم وممالك فارس وخراسان وما وراء النهر وتركستان وبلاد دشت قبجاق ونواحي قلماق وجميع بلاد الشرق والصين وماجين وخان باليق ... كل هؤلاء تبقَى أنظارهم معلقة لما يوجد في ميناء هرمز (جرون) حيث كان البحارة يحملون السلع إليه من حدود الصين وجاوة وبنگال وسيلان والمدن التابعة وسوقطرة ... وزنجبار وسواحل العرب، حتّى عدن وجدّة .. كانوا يحملون إليه جميع النفائس والطرائف .. ويأتون إليه بكل ما يمكن أن يطلب وكان الشراء يتم نقدا أو بالمبادلة ونظرا لكونه ملتقًى دوليا فقد كان يقيم به أصحاب الأديان الأخرى وكانوا يتعايشون بعضهم مع بعض ... وكانوا نتيجة لذلك يسمونها (دار الأمان) تعليق رقم 1، من صفحة 300/299 من ترجمة الرحلة للفارسية.

(108) اعتاد ابن بطوطة أن يعتمد غالبا على المقياس الفارسي (فرسخ) في جل تقديراته ... ويذكر حمد الله مستوفي أن المسافة فرسخ واحد.

ويقدم ابن بطوطة وصفا لقاعدة هرمز هذه بما تضمه من أسواق حافلة وبما هي عليه كمرسًى للهند والسند ومنها تحمل السلع إلى فارس وخراسان وعراق العرب والعجم ...

ونظرا لأهمية المدينة فإن حاكم البلاد اتخذ منها مقرا له[109] ... ويذكر ابن بطوطة أن أكثر أرض الجزيرة سباخ وجبال ملح من نوع يصنعون منه الأواني للزينة والمنارات التي توضع عليها السرج[110] ...

ويلاحظ ابن بطوطة ولوع السكان بتناول السمك الذي تتوفر عليه المنطقة والتمر الذي يجلب إليهم من البصرة وعمان ، وهم أي السكان يقولون باللسان الفارسي : (خُرما وماهي لوت پادشاهي)[111] أي أن التمر والسمك طعام الملوك !

وقد أبرز الرحالة المغربي قيمة الماء هنا عندما ذكر أن الناس يعتمدون على العيون والصهاريج المصنوعة خارج المدينة لتجميع ماء الأمطار ، حيث تنقل منها المياه إلى المدينة لسد حاجات السكان ..

وبعد أن يُحمض ابن بطوطة بالحديث عن سمكة (Baleine) ضخمة

---

(109) كان من الإفادات الطريفة التي أوردها ابن بطوطة عن جزيرة هرمز ، ليس هنا ، ولكن في موضع آخر : إن سلطان الهند أنعم بمال كبير على شهاب الدين فبنى هذا الأخير بذلك دارا عظيمة في جزيرة هرموز... وقف عليها ابن بطوطة بعد أن كان تعرف على شهاب الدين الذي فني جميع ما عنده من المال وأصبح بشيراز يستجدي سلطانها أبا إسحاق ! لقد تخلص ابن بطوطة من هذا ليؤكد ظاهرة اكتسبها بالتجربة ، وهي أن مال الهند قلما يخرج أحد به ، وإذا خرج سلط الله عليه آفة ! !

(110) تحدث ابن بطوطة (3 ، 91) عن ريح السموم القاتلة التي تهب أحيانا من هرمز وشيراز فتعفن الجسوم ، وإذا مات الرجل منها تفسخت أعضاؤه .

(111) هكذا ضرب المثل ابن بطوطة ، وهو من المأثورات التي نسيها شيوخ الخليج اليوم وكلمة لوت تعني في الأصل طعام أو غذاء الدراويش في الزوايا ... لكن الكلمة قد تستعمل في مطلق طعام كما فعل ابن بطوطة ، وقد ذكر هذا المثل ، نقلا عن الرحالة المغربي دهخدا في لغت نامة/ حرف اللام .

كأن رأسها رابية يدخل الناس من إحدَى عينيها ويخرجون من العين الثانية يعود للحديث عن الجزيرة ...

وبالرغم من بعد الجزيرة عن العواصم العلمية في المنطقة فإن ابن بطوطة لم يعدم لقيا شيخ أصله من بلاد الروم كان هو أبا الحسن الأقصاراني الذي وهب الرحالة المغربي ما يسمونه في اصطلاح المنقطعين والمتنسّكين : كَمر الصحبة (بالفارسية Camar-band) وهو عبارة عن شبه حزام يحتبي به فيعين الجالس ويكون بمثابة مستند له على نحو ما نراه إلى الآن مع بعض ملازمي المسجد النبوي أو الكعبة المشرفة يساعدهم على الجلوس الطويل .

وعلى ستة أميال من المدينة توجد **مزارة تنسب للخضر وإلياس .** ويقال إنهما يتعبدان فيها[112] وعلى مقربة منها زاوية يسكنها شيوخ يخدمون هنا الواردين والصادرين .

وبعد أن يعطي صورة لأحد العباد المنقطعين في غار بآخر الجزيرة ... يعرض لتقديم أحد ملوك الطوائف : سلطان هرمز قطب الدين تَمهْتن ابن طوران شاه على أنه من خيرة الملوك وأكثرهم تواضعا .

وقد كان من عادة السلطان تمهتن أن يبادر هو باستقبال الضيوف الواردين على الجزيرة ، لكن اشتغاله بمقاومة مناوشيه جعلته يعتذر بواسطة وزيره شمس الدين محمد بن علي وقاضيه عماد الدين الشّونكاوي وجماعة من رجال الفضل الذين أقام الرحالة المغربي نحواً من ستة عشر يوما في ضيافتهم ...

وقد رأَى ابن بطوطة أن من قلة اللياقة أن يغادر الجزيرة دون ما أن

---

(112) لابد أن تربط الصلة حول هذا القول بقصة سيدنا الخضر وموسَى في القرآن الكريم حيث يذكر مجمع البحرين ...

يسلم على سلطان البلاد ، وهنا نراه يفاتح الوزير في الأمر ، وهكذا أخذ هذا الأخير بيد ابن بطوطة وذهب به إلى القصر الذي كان على ساحل الخليج ، حيث تجمعت المراكب على مقربة منه ... وقد رسم الرحالة صورة لشيخ هرمز...

ويتعلق الأمر بحاكم يرتدي ثياباً ضيقة بالنسبة إليه ، وغير نظيفة ، وعلى رأسه عمامة وقد احتزم بمنديل ، لم يكن ابن بطوطة يتصور أنه الحاكم . ولهذا فقد سلم عليه فقط متابعة للوزير ، وأخذ يتحدث ابن بطوطة إلى شخص آخر بجانب الحاكم كان هو ابن اخته علي شاه بن جلال الدين الكيجي الذي كان له سابق معرفة بالزائر المغربي ...

وقد شعر الوزير ان ابن بطوطة لم يعرف أنه أمام سلطان ! فنبهه بطريقة ذكية ، وحينا توجه ابن بطوطة إلى السلطان معتذرا عن التقصير الغير المقصود ... لقد تبين أن السلطان كان ينتظر ضيوفه على أبواب القصر ... وقد دخل داره وتبعه الأمراء والوزراء وأرباب الدولة ، وحينئذ دخل ابن بطوطة مع الوزير الذي كان يرافقه ... فوجد السلطان قاعدا حينئذ على سرير ملكه وثيابه الضيقة الرثة ما تزال عليه لم يقم بتغييرها ! وفي يده سبحة من جوهر لم تر العيون مثلها لأن مغاصات اللؤلؤ — يقول ابن بطوطة— تحت حكمه !

وقد جلس إلى جانب السلطان أحد الأمراء بينما أخذ ابن بطوطة مكانه ازاء ذلك الأمير ، وهنا توجه السلطان بالسؤال إلى المواطن المغربي يريد أن يعرف عن حاله وعن مقدمه وعمن لقيهم لحد الآن من الشخصيات السامية ، وكانت فرصة أخرى لابن بطوطة أن يُسمع صوت بلاده وأن يقدم نبذة عن حياته وعن المراحل التي قطعها في جولاته الماضية ... وقدم الطعام إلى الحاضرين حيث بقي السلطان على بعد منهم ...

وبعد أن فرغ الناس قام السلطان لتوديع ضيوفه ، وهنا تقدم إليه

الرحالة وسلم عليه وعاد إلى مقر إقامته...

وهنا يستأثر ابن بطوطة بذكر معلومات عن الصراع الذي كان يصدم السلطان قطب الدين مع ابن أخيه الذي كان يحمل إسم نظام الدين[113] ... نحن نعلم عن التنافس المرير الذي كان يسبّب المحاكات على اللؤلؤ بين الشيوخ في هذه المنطقة، ومن تلك المواجهات ما كان بين نظام الدين وبين أخيه قطب الدين الأمر الذي انتقل بعد اختفاء نظام الدين إلى ابنيه اللذين أخذا يشاغبان على عمهما..!.

وقد كان سبب تلك المواجهات أن السلطان قطب الدين خرج من هرمز الجديدة برسم الفسحة والنزهة في بساتين هرمز القديمة التي تبعد كما أشرنا عن هرمز الحديثة... وهنا اغتنم أخوه نظام الدين الفرصة فقام بانقلاب ضد أخيه! ودعا لنفسه وبايعه أهل الجزيرة وانصاع إليه الجند..!

وهنا وجد قطب الدين نفسه مضطرا ليعبر خليج عُمان للالتحاق بمدينة قلهات التي تقع جنوب مرسَى مسقط شمال شرقي الجزيرة العربية... لقد كانت هذه المدينة تابعة لإمارة هرمز ذاتِ التاريخ الحافل الذي أسلفنا الإشارة إليه، وهذه حقيقة تاريخية أخرى لم يفت ابن بطوطة التنصيص عليها في عدد من المقاطع مرةً عندما كان يتحدث عن زيارته لقلهات التي تحتوي على مسجد من تأسيس الأميرة الصالحة بيبي مريم زوجة سلطان هرمز... تلك المدينة التي كان جل سكانها ينتحلون المذهب الخارجي على

(113) إن كل التفاصيل التي يذكرها ابن بطوطة كان من الممكن أن تصحبها تواريخ، الأمر الذي لم يهتم به ابن بطوطة وبينما يرى جيب أن الرحالة المغربي كان يتحدث عن مجريات تمت عام 1347 أي عندما كان راجعا من الهند، فإننا نجد أن هربيك (Hrbek) يختلف عنه ويجعل أن هذه الزيارة تمت في تاريخ قبل سنة 1330... ولم يساعدنا ابن بطوطة على تحديد التواريخ التي تظل غامضة...

عكس السلطان تمهتن الذي كان على مذهب السنة ... فكانوا من أجل ذلك لا يستطيعون إظهار مذهبهم ...

ومرةً عندما كان يتحدث عن مسقط وعمان وما حوته من ثغور ومواقع مثل القريات ومرسي شبّه وكلبة وقلهات التي كانت كلها تابعة لعمالة هرمز(114) .

لقد كانت السلطة بالفعل مدا وجزرا بين هذا الساحل أو ذاك ... لقد أقام السلطان قطب الدين في مدينة قلهات عددا من الشهور يستعد لمهاجمة أخيه نظام الدين ... ولما جهز الأسطول اتجه نحو الجزيرة ، لكنه لقي مقاومة عنيفة من أخيه وأهل الجزيرة ، الأمر الذي حمله على العودة إلى قلهات حيث جدد الحملات مرارا على هرمز الجديد .

وعندما أعيته القوة لجأ إلى الحيلة وهكذا نجح في إغراء بعض أزواج أخيه التي غدرت بنظام الدين بواسطة السم ! وهنا أتى الجزيرة فدخلها وتمكن ابنا أخيه من الفرار بما كانت تتوفر عليه خزائن الملك من مال ، وصحبهما في الهجرة العساكر الذين خافوا على حياتهم متجهين جميعا إلى جزيرة **قيس**(115) (كيش) حيث مغاص اللؤلؤ ...

وهناك في هذه الجزيرة أخذ الإخوان الإثنان يقومان بأعمال القرصنة

---

(114) ابن بطوطة : الرحلة ، طبعة فرنسية، ج 2 ، ص 226 – 236 . ج 4، ص 311 .

(115) كانت جزيرة قيس جزء من سيراف والعكس صحيح ، ويقول حمد الله مستوفي عن أهمية جزيرة كيش أنها كانت ملتقى التجار من سائر جهات العالم على نحو ما سمعناه عن هرمز كانت من مغاصات الجوهر واللؤلؤ ، تجلب إليها تحف الهند والسند والصين الأقصى وتركستان وكذلك طرائف ونفائس مصر والشام وما وراء القيروان من كل ما يرغب فيه وما تشتهيه الأنفس ، وإسم كيش آت من (قيس) التي كانت تعتبر أن جل ولايات ايران تابعة لهم ... وقد كان يتردد عليها ياقوت الحموي صاحب معجم الأدباء والبلدان والذي يعتبر من (النّواصب) مذهبا ، وقد عمل الشاه السابق على أن يجعل من جزيرة كيش جنة لأهل الثراء ... الترجمة الفارسية ص 306 التعليق 1 — 2 . الترجمة الفرنسية 4 . ص 168 .Le monde 10 – Juillet 1979

ويشنان الغارة تلو الغارة على الذين يقصدون جزيرة هرمز الجديدة من الهند والسند ويهاجمان باستمرار السواحل التابعة لعمهما قطب الدين حتَّى تخرب معظمها ...

وبعد هذا الاستطراد المفيد يعود ابن بطوطة ليتذكر أنه ـ وقد ودع السلطان قطب الدين ـ مسافر من (جرون) قاصدا زيارة الشيخ أبي دلف[116] أحد الصالحين الذي قيل لابن بطوطة أنه يوجد في (خنج بال) من أرض لار[117] .

وقد استأجر بعد أن نزل إلى اليابسة مطايا من الرحالة التركمان[118] الموجودين هنا .. والذين لا يستغني عن خبرتهم في اجتياز هذه الصحراء التي قدر ابن بطوطة أمد السير فيها بأربعة أيام والتي تعتبر من أخطر المواقع أمنا ومناخا في هذا الإقليم وخاصة عند شهر يونيه ويوليه . لقد كان ابن

---

(116) لا نعرف شيئا عن صلة أبي دلف هذا بالشخصيتين المشهورتين اللتين تحملان هذه الكُنية : القاسم ابن عيسَى العجلي المكنى بأبي دلف أمير الكَرج (الكرك) التي ينتسب اليها أيضا المهندس الكرجي صاحب كتاب (إنباط الميال الخفية) وفيه قال علي ابن جبلة :

إنما الدنيا أبو دلف بين مغزاه ومحتضره
وإذا ولّى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وبأبي دلف شبَّه لسان الدين ابن الخطيب مدينة فاس ...
أما أبو دلف الثاني فهو الخزرجي الينبعي واسمه مسعر بن المهلهل ... د. محمد عبد المنعم خفاجي ـ العدد 7 المكتبة الصغيرة ـ الرياض طبعة ثالثة يناير 1977 = محرم 1397 .
د. التازي : الماء ، الغذاء ، الإنسان بين التراث الاسلامي والتاريخ المغربي أكاديمية المملكة المغربية 1982 .

(117) خنج بال من المصطافات المقصودة في (لار) التي تعتبر ثامن منطقة في إقليم فارس ويذكر (Hrbek) أن الأمر يتعلق بمدينتين اثنتين خنج وفال ، ويقول باروس (Barros) إنه في خنج يوجد مسجد الشيخ دانييل الآتي الذكر ...

(118) القصد إلى الرحالة الأتراك المعروفين بالقشقائية الذين يكونون اليوم نحواً من ثلاثين ألف خيمة .

بطوطة ورفاقه يسافرون بالليل فقط ، فإذا أشرقت الشمس نزلوا تحت ظلال الأشجار من أم غيلان ...

ومن هذه الصحراء ... وصلوا إلى بلد كورستان الذي لاحظوا شدة حره بالرغم من توفره على الأنهار والبساتين.

ومن كورستان صاروا ثلاثة أيام في صحراء جديدة إلى أن بلغوا إلى مدينة (لار) التي تكون اليوم المنطقة الثامنة من إقليم فارس وهي تمتاز بكثرة عيونها ومياهها المطردة وبساتينها المتعددة وأسواقها الحسان. لقد كان سلطان لار على ذلك العهد يحمل إسم جلال الدين وهو تركماني الأصل ، وقد نزل ابن بطوطة في الزاوية التابعة للشيخ أبي دلف الذي كان في طريقه إليه شخصيا ...

لقد تحدث ابن بطوطة عن زاوية أبي دلف في لار ، وكان يشرف عليها أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ أبي دلف[119] ، وكان لفقرائها ترتيبهم الخاص في تزويد الزاوية بما يتضمن العون للواردين عليها والصادرين كل ليلة جمعة ...

ومن مدينة (لار) قصد الرحالة المغربي أرض (خنج بال) حيث توجد سكنَى الشيخ **أبي دلف** الذي كان هدف الزيارة كما قلنا وبزاوية الشيخ هذا نزل الرحالة المغربي يعطي وصفا دقيقا لصاحب المكان ... لقد وجده بناحية من الزاوية جالسا على التراب وعليه جبة صوف خضراء بالية وعلى رأسه عمامة من صوف سوداء[120] .

وكما كان في المناسبات السابقة فقد سأل الشيخ رحالتنا بعد تبادل السلام عن ظروف السفر وعن بلاد المغرب وكانت فرصة جديدة ليردد ابن

---

(120) ما تزال العمامة السوداء مستعملة في المنطقة وهي شعار المنحدرين من الرسول عليه الصلوات ...

بطوطة في (خنج بال) صدًى بلاده المغرب ... وبعد ان يتحدث عن التكريم الذي لقيه في الزاوية يحاول أن يعرف مصدر العطاءات الجزيلة التي تصرف على الواردين والصادرين ، وهل أنها مما يصله (أي الشيخ) من الأصحاب والمريدين أم أنها «من الكون» على ما يزعم الكثير من الناس ! بهذه المناسبة يذكر أنها أي الزاوية تحتضن ضريح الشيخ دانيال الذي بنى عليه السلطان قطب الدين تمهتن قبة عظيمة ...

وبالرغم من استعجال الرفقة التي كان ابن بطوطة في صحبتها فقد تمكن من القيام بزيارة زاوية أخرى تأوي عدداً من المنقطعين ممن يتمذهبون بالمذهب الشافعي نالت منهم العبادة : «صفر الألوان ، نحاف الجسوم ، كثيرو البكاء ، غزيرو الدموع ... كأن بعضهم خرج من قبر من كثر ما أنهكته العبادة ... أفليست هذه أرض التصوف ..؟»

ومن مدينة خنج بال إلى جزيرة قيس (كيش) التي تعتبر من أرض فارس[121] التي يحددها ابن بطوطة تحديدا على هذا النحو.. على ساحل بحر الهند المتصل ببحر اليمن وبحر فارس وهكذا نراه مرة أخرى يعطي للخليج الذي يفصل بين ايران وبين شمال الجزيرة العربية إسم : البحر الهندي والبحر الفارسي ، بينما يسمى خليج عُمان ببحر اليمن ... على خلاف الشريف الإدريسي الجغرافي المغربي المشهور الذي يسمي ذلك الخليج بالخليج الأخضر[122] ...

يقول ابن بطوطة عن هذه الجزيرة الجميلة أنها مدينة بها انفساح وسعة ... طيبة البقعة ، تحتوي على بساتين ذات رياحين وأشجار ناضرة ..

---

(121) وقعت في نسخ لابن بطوطة زيادة تقول : «وتسمَّى جزيرة قيس بسيراف»

J. Guillebaud : L'île de kishe Rêve Evanoui du chah
Le Paradis Perdu des milliardaires, Le monde 10-7-1979.

(122) ابن بطوطة : الرحلة 2 ، ص 16– 18– 22– 244– 453 .

يشرب أهلها من عيون منبعثة من جبالها[123] ... وسكنها أقوام من الفرس أشراف ، أي منحدرون من الرسول وفيهم طائفة من عرب بني سفاف المعروفين بالغوص على الجوهر...

ويستطرد ابن بطوطة هنا لتقديم وصف جميل لطريقة البحث عن اللؤلؤ في منطقة الخليج ما بين جزيرة قيس وجزر البحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم ، فإذا كان شهر أبريل وشهر مايه قصدته القوارب الكثيرة التي تنقل الغواصين والتجار في اللؤلؤ سواء من أرض فارس أو البحرين أو القطيف.

ويمضي ابن بطوطة فيذكر أن الغواص يجعل على وجهه عندما يريد الغوص شبه كمامة من عظم السلحفاة يشدها على أنفه بواسطة مقراص من نفس العظم ، ثم يربط في وسطه حبلا ... وينزل بمساعدة زملائه إلى أعماق المياه حيث يتنافس الصيادون في الصبر... فإذا وصلوا إلى القعر بحث عن الصدف هنا بين الأحجار الصغار فيقتلعه بيده أو يقطعه بآلة ... ويجعلها في مخلاة جلد منوطة بعنقه فإذا ضاقت نفسه حرك الحبل فيشعر به الرجل الممسك للحبل على الساحل فيرفعه إلى القارب فتؤخذ منه المخلاة ويفتح الصدف فيوجد في أجوافها قطع لحم تقطع بحديدة ، فإذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر... فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خمسه والباقي يشتريه التجار الحاضرون...

وبعد أن تستوقف سوق اللؤلؤ ابن بطوطة ... يخبرنا بوداعه لأرض ايران إلى عاصمة البحرين ، حيث يجد ضالته في الأنهار والأشجار والبساتين...

* * * *

---

(123) جريدة لوموند الفرنسية عدد 10 يوليه 1979.

الزيارة الرابعة 1333/733

وقد تمت الزيارة الرابعة لايران عن طريق المنطقة الشرقية الشمالية عبر مدينة هرات رابعة قواعد[124] إقليم خراسان الذي تشترك فيه أفغانستان وايران والسوفييت .

ولم يفت ابن بطوطة أن يذكر بأن الهرويين من أنصار مذهب الامام أبي حنيفة ، تمهيداً لما يستأثر بذكره من أحداث جسيمة ستعرفها خراسان ، مما يتعلق بالصراع بين المذهب السني والمذهب الشيعي في أعقاب الوفاة الطارئة على السلطان أبي سعيد بهادور . ويتعلق الأمر بالمواجهات العنيفة التي ابتدأت سنة 737 = 1335 والتي كان ابن بطوطة يروي أخبارها عن شاهد عيان[125] الأمر الذي يزيد في قيمة الرواية وقوتها . وبالرغم من أن المصادر الفارسية لم تهمل هذه الأحداث التي تمخّضت ولأول مرة في التاريخ عن إنشاء أول جمهورية شعبية شيعية إلا أن تلك المصادر تظل شحيحة إذا ما قارناها بالتفاصيل الثرية التي قدمها الرحالة المغربي عن الأصول الأولى لقوة هذه الإمارة أو الجمهورية كما يسميها بعض المؤرخين الايرانيين ...[126] .

وقد لاحظنا حرص ابن بطوطة على تتبع مراحل المواجهات بين **المذهب الشيعي والسني** سواء لما كان بجنوب ايران أو شمالها ، في شيراز أو مشهد عندما أراد القائمون على الأمر فرض المذهب الشيعي على سائر الناس أو بالحري جعله مذهبا رسميا للدولة .

---

(124) كانت قواعد خراسان الأربعة : هرات ، (أفغانستان) ، ونيسابور (ايران) وهما عامرتان كما يقول الرحالة ، وبلخ (أفغانستان) ومرْو (الاتحاد السوفييتي) وهما خربتان .

(125) يلاحظ أن زيارة ابن بطوطة لمنطقة خراسان تمّت سنة 733 = 1333 بينما هذه الأحداث تمت بعيد خروجه من الهند ، وقبل أن يعود إلى المغرب وقد رأى إلحاق هذه المعلومات هنا عندما أراد أن يسجل مذكراته عن خراسان .

(126) M. Mozafari : l'IRAN p. 36

وكما عرفنا أبطال المواجهة في الجنوب نجد أن أبطال المواجهة في الشمال هما سلطان هرات معز الدين حسين بن السلطان غياث الدين كرات[127] عن أهل السنة ، ووجيه الدين مسعود[128] سلطان بَيْهق (ولاية عاصمتها سابْزاوار)[129] عن أهل الشيعة .

وقد حكَى ابن بطوطة منْ أمر هذا الأخير أنه كان من أهل خراسان ، وقد صحب رفيقا له يسمَى محمد ، وكان لهما خمسة من الأصحاب المغامرين الذين عرفوا في خراسان باسم سربداران (SAR BE DAR) (رأس على المشنقة) : أو إمارة (سربداران)[130] هؤلاء المغامرون الذين يعطيهم ابن بطوطة اسما مغربيا : «الصّقورة» جمع صقر... يعني العفاريت .

لقد اعتصموا في البداية بجبل منيع على مقربة من (سابزاوار غربي نيسابور) فكانوا يكمنون بالنهار ويخرجون بالليل فيشنون الغارات على القرَى ويبتزون الأموال ، وانثال عليهم أشباههم فكثر عددهم واشتدت شوكتهم وهابهم الناس ، ولم يلبثوا أن حاصروا مدينة (سابزاوار) فاقتحموها ثم

(127) افتتن ابن بطوطة بشجاعة السلطان معز الدين الذي تملك من 732 = 1331 ، وهو من آل كرت الذين انقرضوا على يد تيمور ، وكان ملوكها تمكنوا من مصالحة أخلاف جنكيزخان ومن أعمار الخرائب التي ألمت بهرات .

(128) مسعود هذا هو الثاني من رؤساء امارة الساربيدار...

(129) (بيهق) ولاية قديمة في خراسان غربي نيشابور وعاصمتها هي (سابزيوار) (Sabezevar) وقد خربت في عهد المغول وقد احتلها عام 737 = 1337 عبد الرزاق وأسس فيها الساربيدارن . د. بهاء الدين : كرونولوژي تاريخ ايران ، ص 126

(130) جاء إسم (Sar Be – dar) من أن مؤسس هذه الجمهورية أو الإمارة عبد الرزاق أراد أن يحث مواطنيه على مساندته في ثورته ضد والي خراسان ، فخطب فيهم قائلا : «ان فوضَى كثيرة أخذت تظهر في هذه البلاد ، فإذا ما تحركنا بفتور سيكون مآلنا الموت ، وانه لمن المفضل ألف مرة أكثر أن نرَى — وبشجاعة — رؤوسنا معروضة على مشنقة (Sar Be Dar) على أن نهلك جبناء !! «إما الإنتصار على العدو أو الشنق» .

الرحلة 3 : ص 3 من المقدمة ، ص 69 — (M. Mozafari : l'Iran p. 36)

تسربوا لغيرها من المدن واكتسبوا الأموال ... وجندوا الجنود وركبوا الخيل ! وأمسَى مسعود يلقب بالسلطان .

وقد تقوت هذه الحركة بمن كان يلتحق بها من المتمردين والمحتاجين والمغامرين ، حيث كان مسعود يختار من شجعانهم من يجعله رئيسا على فرقة من الفرق ، وهكذا استفحل أمره ... وعظم جيشه ... وهنا فرض على جميع ولايته وأتباعه أن يعتنقوا مذهب التشيُّع ، بل وطمح إلى استئصال مذهب أهل السنة في خراسان جميعها ..!

ولما كان على السلطان مسعود أن يبحث على إمام يعطيه لقب الخليفة فقد وجد بمشهد طوس شيخا من صلحاء الشيعة يحمل إسم (حسن) وافق على تقلّد المنصب فأصبح إماما وأظهر العدل والصرامة والحزم حتَّى لكانت النقود تسقط في معسكرهم فلا يلتقطها أحد حتَّى يأتي صاحبها[131] .

وقد تغلب عسكر مسعود على نيسابور .. وهنا بعث إليهم السلطان طغيتُمور (Thoghaïtomoûr) ملك الترك بالعساكر فهزموها وبعث إليهم ثانية بنائبه القائد أرْغون شاه فهزموه وأسروه ومنوا عليه .. ثم غزاهم طغيتمور بنفسه في خمسين ألفا من التتر فهزمه الساربيدار وملكوا البلاد ...

وهكذا تغلبوا على مدينة (سَرخْس) على الحدود الايرانية السوفياتية اليوم ، وعلى مدينة الزاوة (تربة الحيدرية) ومدينة طوس وهي من أعظم بلاد خراسان ... وهنا نقلوا خليفتهم (حسن) إلى مشهد علي بن موسَى الرضا ... ثم قصدوا مدينة الجام واحتلوها وعسكروا بخارجها قاصدين مدينة هرات ...

---

(131) يعلق هنا د. موحد قائلا ص 434 من الجزء الأول مؤكدا أن ثورة سربدران تعرضت لعدد من التحريفات والتزويرات من المؤرخين سيا وقد كانت في البداية حربا بين الشيعة والسنة ، وبالرغم من أن ابن بطوطة كان مواليا للسنة إلا أن التفصيلات التي ذكرها كانت مفيدة جدا ... وقد أورد موحد شعرا فارسيا يقول : لولا الهزيمة التي لحقت سربداران في هذه المعركة لملكت العالم !

وهنا تحرك السلطان حسين بن غياث الدين الغوري ملك هرات فجمع مجلس الشورَى قائلاً : هل ما إذا كان من المناسب انتظار المهاجمين أو مسابقتهم إلى الهجوم؟ فوقع الإجماع على الخروج إليهم .

وهكذا اجتمع الناس من أطراف البلاد في سهل يحمل اسم بدغيس (Badghis) شمال شرقي هرات . كان هو مرعَى هرات وهو فسيح عريض يبلغ أربعة أيام سيرا ... لا يزال عشبه أخضر طيلة العام ... وأكثر شجر هذه المنطقة (بدْغيس) من خراسان : الفستق ومن هذه المناطق حمل إلى الجهات الأخرى بما في ذلك اليونان(132) ، وقد انضاف إلى أهل هرات في هذا الموقف أهل مدينة سمنان شرقي تهران وجنوبي غربي دافغان ... فاجتمع من هراة وسمنان زهاء مائة وعشرين ألفا بين رحالة وفرسان كلهم تحت قيادة الملك حسين بن غياث ...

وفي مقابلة هذا اجتمع من الشيعة نحو من مائة وخمسين ألفا من الفرسان ... وقد التقَى الجمعان على ما يقول ابن بطوطة في بسيط يحمل إسم (بوشنج Bushanj) (133) أو على مقربة من زاوة على ما يقول ظهير

---

(132) تمتاز ايران والبلاد المجاورة بوفرة الفستق ... وقد ذكر أن جل أشجاره واردة من (بدغيس)... ومما يذكر أن الأسكندر ملك اليونان لما غلب بلاد فارس ، كان من جملة الهدايا التي وقع التصالح عليها تسليم كميات من «فستق بدغيس» إلى اليونان سنويا ، وانتهَى الأمر بنقل فسائل من غابات بدغيس إلى أراضي الإغريق كما سلفت الإشارة كذلك ...

— مرآة البلدان لاعتماد السلطنة .

(133) تقع بوشنج على الحدود الايرانية الأفغانية وربما عربت إلى فوشنج وبها كان يقيم الطاهريون الذين حكموا البلاد قبل الصفاريين ، وقد عين الشريف الإدريسي موقع بوشنج في خريطته ، ويقال إن بوشنج أرض فرعون وهامان وفيها يقول أبو الفضل هاجيا :

إذا سقَى الله أرض منزلة ... فلا سقى الله أرض بوشنج
كأنها في اشتباك بقعتها ... أخربها الله نطع شطرنج
قد مليت فاجرا وفاجرة ... أكرم منهم خؤولة الزنج !
كأن أصواتهم إذ أنطقوا ... صوت يدس في الفرج !

الدين مرعَشي[134] .

واصطدم الفريقان اصطداما عنيفا وكانت الدائرة على الشيعة . ففر سلطانهم مسعود وثبت الخليفة (حسن) في عشرين ألفا إلى أن قتل وقتل أكثرهم وأسر منهم زهاء الأربعة آلاف .

يقول ابن بطوطة : ذكر لي بعض من حضر هذه الوقيعة أن ابتداء القتال كان في وقت الضحَى وأن الهزيمة تمت عند الزوال ونزل السلطان معز الدين حسين بن غياث الدين بعد الظهر فصلى وأطعم . وعاد بعد هذا الفتح العظيم إلى حضرته هرات وعاد حلفاؤه أهل سمنان إلى أماكنهم ، وفشلت مرة أخرى فكرة فرض **المذهب الشيعي** على الناس بالقوة ! وإذا كان ابن بطوطة يقول إن «هذه الوقيعة بعد خروجي الهند عام ثمانية وأربعين» فإن المصادر الفارسية ... تؤكد أنها ابتدأت يوم الخميس 13 صفر 743 = 18 يوليه 1342[135] .

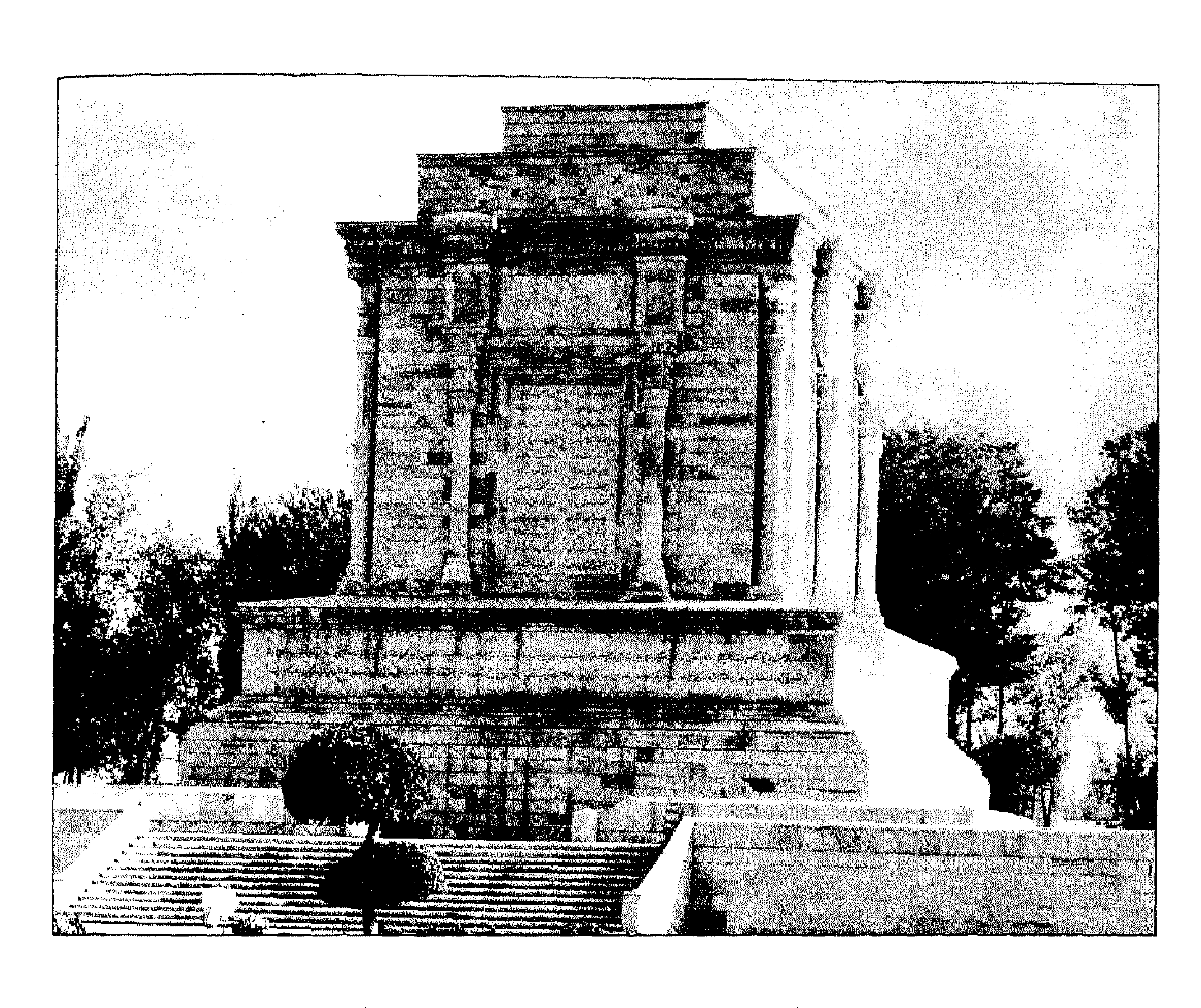
تلك هي المعلومات التي لا نجدها مفصلة في مصدر آخر من مصادر التاريخ الايراني ... لقد دخل ابن بطوطة إلى ايران هذه المرة **عن طريق خراسان** من مدينة الجام التي يصفها بالحسن ووفرة البساتين والأشجار والعيون والأنهار ... وتمتاز بكثرة توتها وحريرها ... وقد أتَى إسمها من العابد التائب شهاب الدين أحمد الجامي[136] ... ومن ثمت ظلت مزارة

---

(134) سفر نامة ابن بطوطة ، ج 1 ، ص 436 . تعليق 1 .

(135) يعلق د. موحد قائلا ص 436 ج 1 ، حارب الأمير وجيه الدين مسعود بين 13 صفر 743 وسنة 748 ، وقد كان ميدان المعركة على بعد ميلين من زاوة ، ويقول ظهير الدين مرعشي : إن الحرب دامت ثلاثة أيام وثلاث ليالي ...

(136) كان الشيخ شهاب الدين من المدمنين على الخمر ، وكان من عادة ندمائه الستين أن يجتمعوا يوميا عند أحدهم بالنوبة ولما وصل دوره ذات يوم كان قد عزم على إصلاح حاله وإعلان توبته ، ولكنه خشي أن يتهم من لدن رفاقه بأنه إنما أراد أن يبخل عليهم ... وهكذا قرر أن يحضر لهم ما كان اعتاد أن يحضره من شرب ونقل وطعام وكان من كراماته أن تحولت تلك الخمور إلى مشروبات حلوة ذاقها أصحابه فتساءلوا ، =



ضريح الفردوسي صاحب كتاب الشاهنامة، في مدينة طوس

مقصودة للكبير والصغير... وقد كان السلطان أبو سعيد ملك العراق على رأس الذين يخدمون المدينة...

ومن الجام قصد مدينة (طوس) حيث ضريح الفردوسي صاحب الشاهنامة... وحيث مسقط رأس سيد الوزراء نظام الملك مؤسس الجامعات التي حملت إسمه في أنحاء المملكة (نظامية) وبلد الإمام أبي حامد الغزالي وبها قبره.. ومن طوس إلى مدينة مشهد الرضى وهو علي بن موسَى الكاظم بن جعفر الصادق الإمام الثامن عند المتشيعة... وهي مدينة كبيرة ضخمة كثيرة الفواكه والمياه والأرحاء الطاحنة...

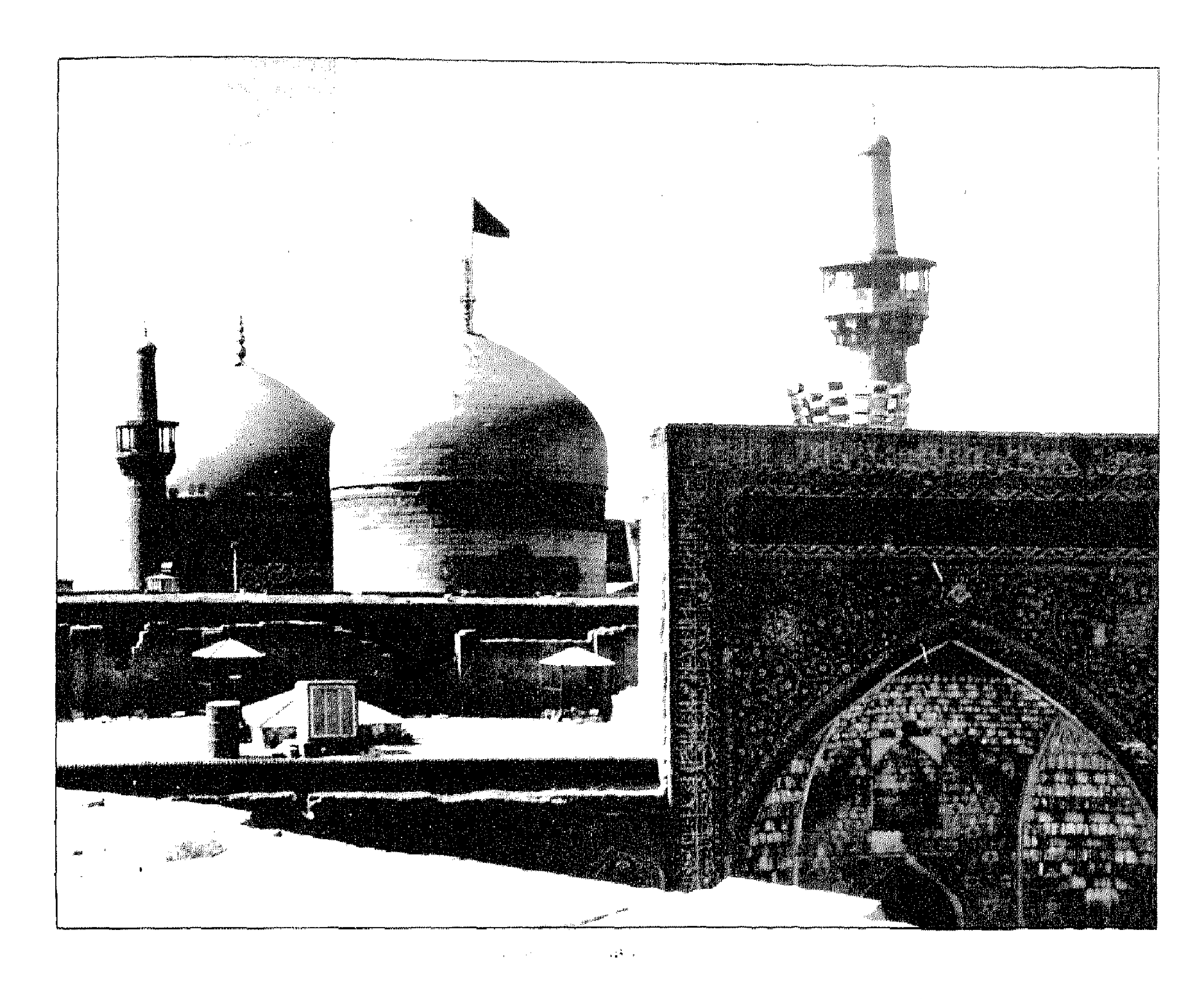
وبعد أن يذكر ابن بطوطة عددا من السادة الذين تعرف عليهم كالطاهر (أي النقيب) محمد شاه والقاضي جلال الدين والشريف علي ووالده: أمير هندو، ودولة شاه... يتخلص للحديث عن قبة المشهد التي يقول عنها إنها عظيمة في داخل زاوية... وتجاورها مدرسة ومسجد... وكلها رائع البناء منقوش الجدران **بالقاشاني** الذي يشهد بعبقرية أهل قاشان (جنوب قُم) وعلى القبر دكانة خشب ملبسة بصفائح الفضة، وعليه قناديل من فضة معلقة... وعتبة باب القبة فضة كذلك وعلى بابها ستر حرير مذهب، وهي أي القبة مفروشة بأنواع البسط...

ويفيد ابن بطوطة أنه يوجد بإزاء هذا الضريح قبر هارون الرشيد... وعلى قبره وضعت الشمعدانات والمنائر.... ويذكر أنه إذا دخل المتشيّع للزيارة، ضرب قبر الرشيد برجله وسلم على الإمام الرضى!

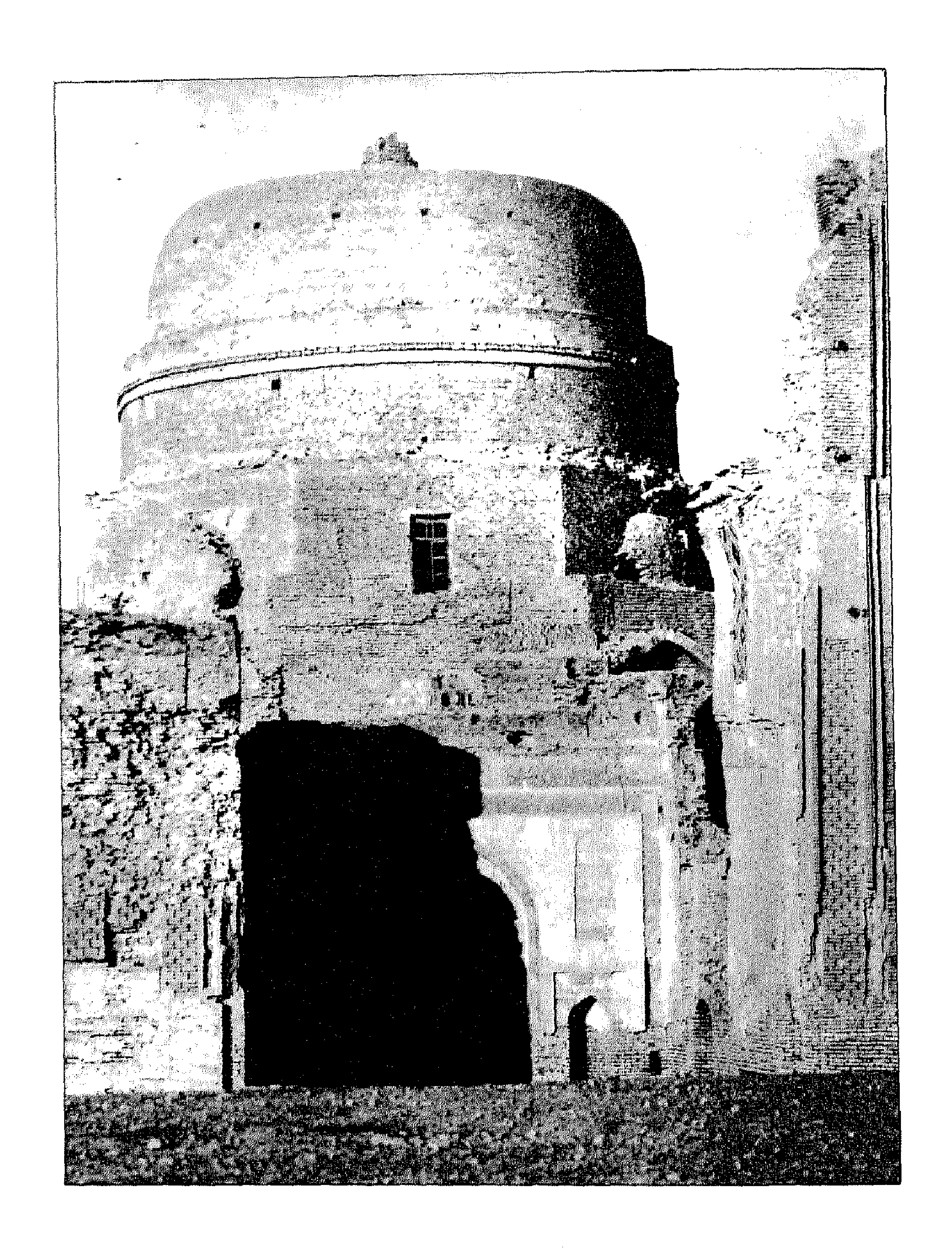
ثم قصد الرحالة المغربي إلى مدينة سرخس (Sarakhs) التي ينتسب إليها

= وكانت النتيجة أن تابوا جميعا، هذا وقد تلقب عدد من أولاد شيخ جام (زنده بيل) بشهاب الدين... كما أن هذه القصة رواها كذلك محمد غزنوي على لسان شيخ جام..!!

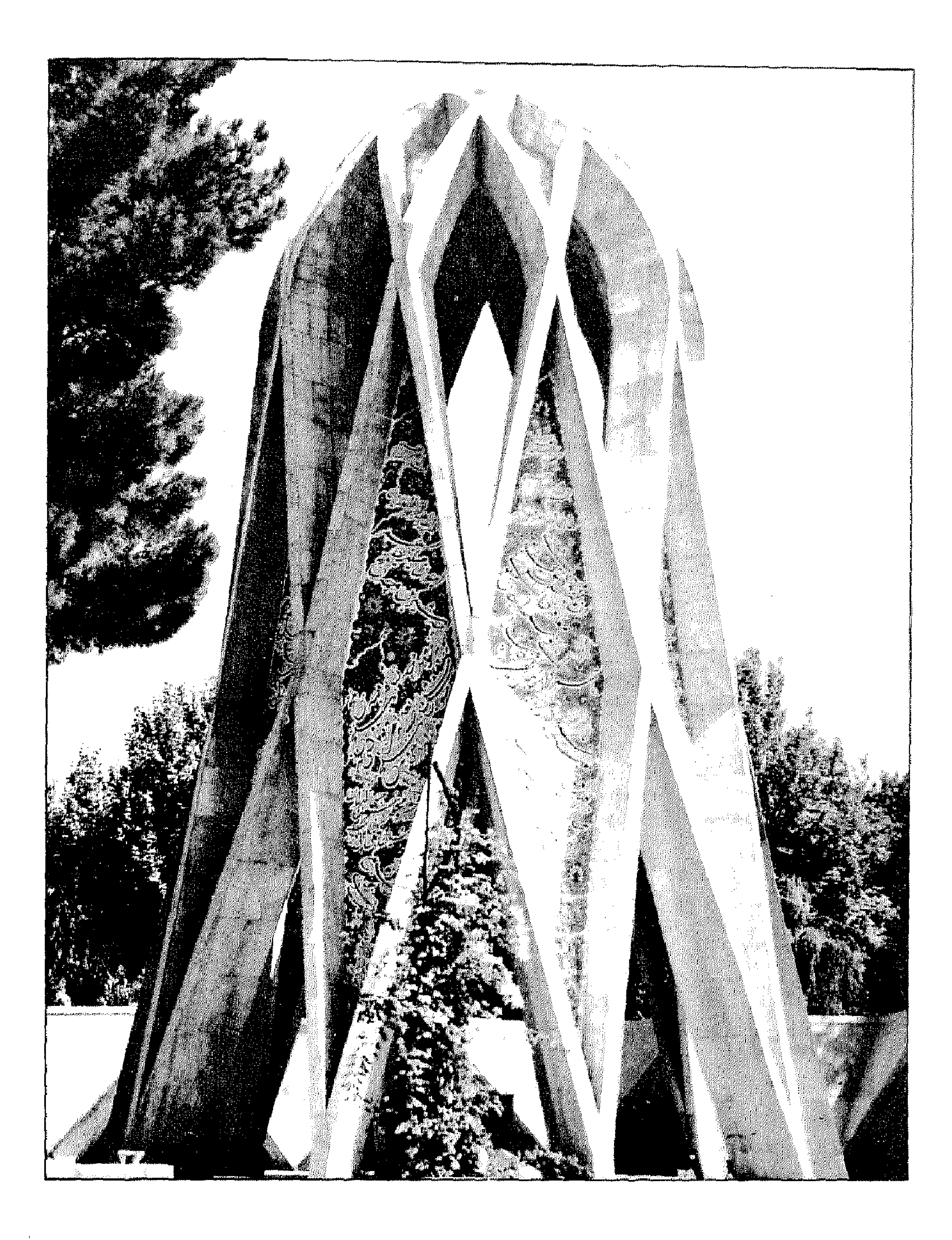
ابن بطوطة، ج 3، ص 76 – 77. د. موحد، ج 1، ص 439 – 440.



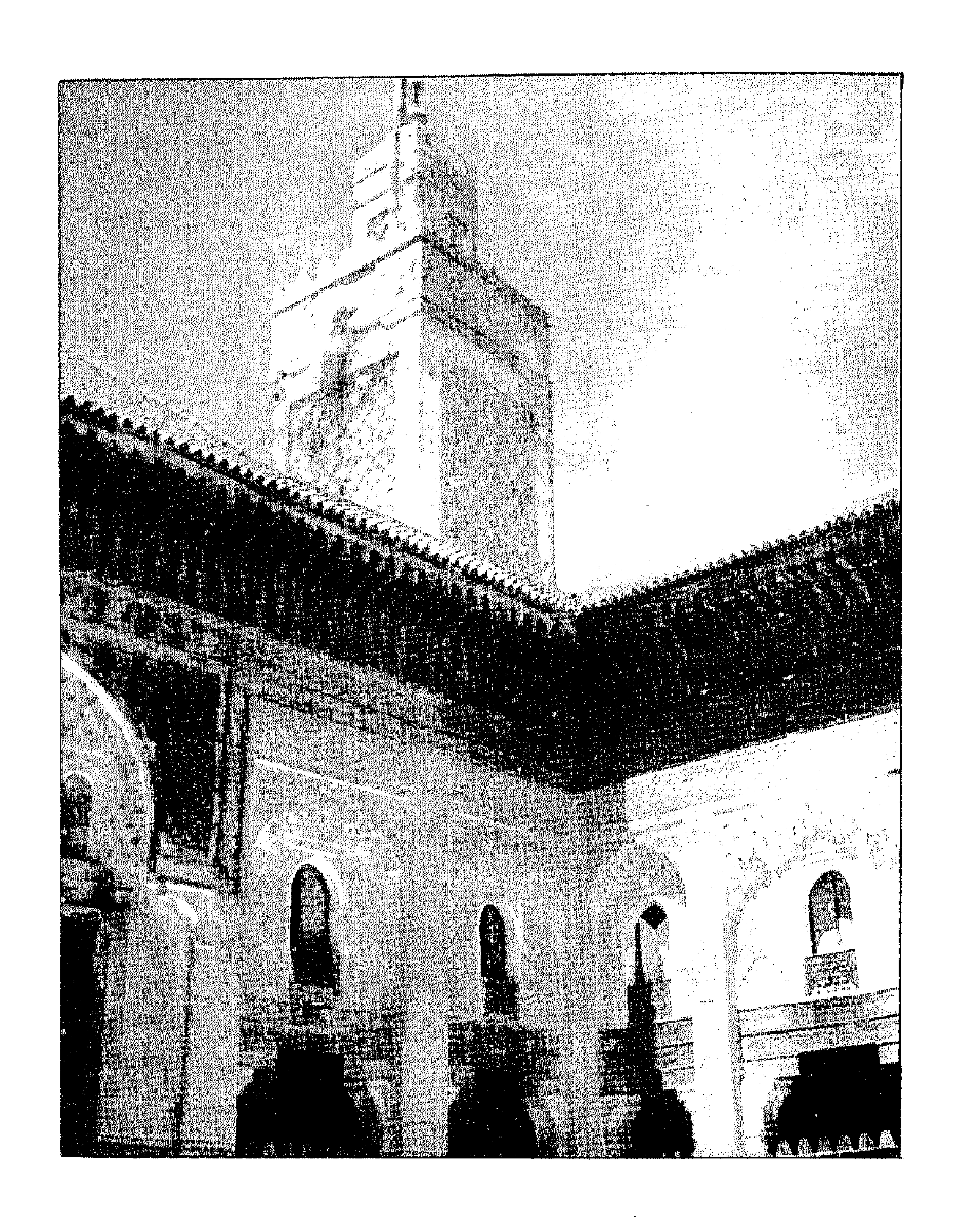
ضريح الامام علي رضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين
ابن علي بن أبي طالب ، في مدينة مشهد



ضريح الشيخ لقمان السرخسي



ضريح عمر الخيام في نيسابور



جانب من مدرسة السلطان أبي عنان بفاس

الشيخ الصالح لقمان السرخسي ... ومن سرخس نزل إلى مدينة زاوة أو تربة الحيدرية (جنوب نيسابور)[137] حيث توجد طائفة الحيدرية الذين يقاومون فيهم الشهوات[138] ...

ومن زاوة (Zâvé أو تربة الحيدرية) صعد إلى مدينة نيسابور : موطن فريد الدين العطار وعمر الخيام ... وقد نعتها بأنها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياهها حيث تخترقها أربعة أنهار ... ولها مسجد بديع في قلب السوق ، وبجواره أربع مدارس[139] تتوفر بدورها على المياه الكافية وتحتضن عددا كبيرا من الطلبة الذين يدرسون كتاب الله والفقه الإسلامي ...

وتستيقظ فجأة الحاسّة الوطنية في ابن بطوطة فيتذكر أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا أن مدارس المغرب تقل روعة عن مدارس المشرق ... فإن مدارس خراسان والعراقين ودمشق وبغداد ومصر كلها ولو بلغت ما بلغت في الروعة والعظمة لكنها لا تصل إلى روعة مدرسة السلطان أبي عنان ، التي لا يقع بصرك فيها إلا على زخرف سواء في أرضها أو جدرانها أو سقفها ... «وأن نقش الجص بها لا قدرة لأهل المشرق عليه» ! !

وكما هي عادة ابن بطوطة ، فقد فضل أن ينزل ضيفا في زاوية الشيخ الواصل قطب الدين النيسابوري ...

---

(137) يلاحظ أن سرخس توجد شرقي مشهد ، بينما ابن بطوطة كان في اتجاه الغرب نحو نيسابور ؟ وهكذا نقول في زاوة التي توجد شرقي سرخس ، فهل الأمر يتعلق باشتباه ناشئ عن نسيان ترتيب المراحل التي قطعها ؟

(138) كانوا يعلقون حلق الحديد على أعناقهم وفي ذكورهم حتّى لا يتأتى لهم الإقتراب إلى النساء .

(139) كانت نيسابور في القرن الخامس الهجري بمثابة جامعة كبرى في العالم الإسلامي إلى جانب الزيتونة بتونس ، والقرويين بفاس والأزهر بالقاهرة ، فكانت لذلك من أهم المراكز الثقافية ...— ابن بطوطة : ج 3 ، ص 475 .

ومن نيسابور قصد مدينة (بسطام) المتاخمة لسلسلة جبال أَلْبُرز والواقعة جنوب جرجان ، وقد أقام فيها بعض الوقت بالرغم مما يقال عن بسطام(140) ، حيث وجدناه يتسلم بعض البريد الذي أرسل إليه من نيسابور ... وإلى مدينة بسطام ينتسب عدد من العلماء والمشايخ من أمثال أبي يزيد البسطامي دفين هذه المدينة ، وضجيع أحد أولاد جعفر الصادق وبزاويته نزل الرحالة المغربي الذي لم ينس أيضاً زيارة ضريح الشيخ أبي الحسن الخرقاني بهذه المدينة .

ومن بسطام عاد ابن بطوطة أدراجه إلى أقصَى شرق البلاد ، ولكن الملاحظة التي سجلها سائر الذين كتبوا عن ابن بطوطة سواء منهم العرب والعجم ، هي أن الرحالة المغربي وجد نفسه فجأة وبدون عناء في قندوز(141) وبَغْلان(142) وهما مدينتان في طخارستان شمال أفغانستان الحالية !

---

(140) تعتبر بسطام من مدن نيشابور الكبرى ومن غرائب ما ذكر عن خصائص أهلها أنهم «لا يعشقون ولا يعشقون» وأن الغريب العاشق إذا دخلها وشرب من مائها طار عشقه ! وتبخر حبه ، ولهذا فلا أثر لأساطير ليلى والمجنون . أو (خسرو وشيرين) كما تقول الأساطير الفارسية .

— اعتماد السلطنة : مرآة البلدان . ص 209 .

(141) قندوز من مدن طخارستان شمالي أفغانستان ، ولم يذكر البلدانيون القدامَى إسم هذه المدينة ، وهي مخففة أو معربة من كلمة كهندز وتعني القلعة القديمة ، وتقع قندوز الجديدة بعماراتها وحدائقها على مقربة من أطلال الخرائب القديمة وبالقرب منها المطار الدولي ...

(142) بغلان من مدن طخارستان أيضا وبغلان هو إسمها منذ القديم ، والمسافة بين بغلان وقندوز هي أكثر من ثلاثين ميلا ، وقد ذكر ابن بطوطة بغلان مع قندوز توأما وشاهدهما بعد تدمير جنكيز إياهما ، حيث كانتا أقرب إلى القريتين منهما إلى مدينتين ... وقد أقام فيها ابن بطوطة حوالي أربعين يوما حتَّى ساعده الجو لعبور قمم (هندكوش) الشاهقة التي ورد ذكرها في (الابستاق) وفي المتون البهلوية بما يعني «أعلى من طيران العقاب» والتي عرفت عند اليونان باسم أنديكوس ... ولو عاش ابن بطوطة لاخترق هذه الجبال في ظرف ساعة واحدة !

ولابد أن نعرف أنه من بسطام إلى قندوز توجد مسافة طويلة جدا ، حيث هناك عدة مدن وقصبات في عرض الطريق ، لكن ابن بطوطة لم يذكر شيئا ، ولو مختصرا عنها مع أن المسافة كانت تستغرق ما يقارب الشهر !

ويقول ابن بطوطة أنه وصل إلى بغلان وقندوز عن طريق (هندخير) ... وكلمة (هندخير) التي كتبت بشكل واحد في جميع النسخ المطبوعة لم تكن مفهومة ، وإذا ما صحت إشارة بعض المستشرقين إلى أن هندخير هي مدينة أندخود ، فإنه مع ذلك يبقَى الإشكال واردا : لماذا لم يذكر ابن بطوطة شيئا عن المدن والمواقع التي كانت في طريقه إلى أندخود ...

وإن كثيرا من الذين يتتبعون خطوات الرحالة المغربي وخاصة منهم المستشرقين يذكرون أنه من المحتمل جدا أن تكون مراحل ابن بطوطة بعد وصوله إلى الجام على النحو التالي : زاوة أو تربة حيدري ، ثم بسطام ثم العودة عن طريق نيسابور، ثم طوس ثم مشهد، ثم سرخس إلى هندخير... ويتأكد مع هذا أن ابن بطوطة أهمل عددا من القرى التي زارها ، وهو في طريقه بين زاوة وبسطام ، وبين هذه الأخيرة وبين نيسابور ...

ومن أجل هذا كله وجدنا الأستاذ الزميل خليل الله خليلي سفير أفغانستان في بغداد يعلق في كتابه (ابن بطوطة في أفغانستان) قائلا عن هذه «الوثبة» من بسطام إلى قندوز وبغلان : «في ظني أن عدداً من الصحائف قد سقطت» !

ومن أجل هذا أيضا كان علي أن أتحدث عن هذا الموضوع قبل عشر سنوات في المقدمة التي حررتها على شرف الزميل خليلي على النحو التالي :

«وقد أحسن معالي الأستاذ الملاحظة عندما استوقفته طفرة رحالتنا ابن

بطوطة من مدينة بسطام في ايران إلى قندوز وبغلان في أفغانستان . طاويا يوميته لمدة تفوق الشهر.. إن ذلك يعني تأكيد النظرية التي تقول : إن رحلة ابن بطوطة الموجودة بين أيدينا ليست إلا تلخيصا للرحلة الأصلية ... ألم يقل ابن جزي في آخر الكتاب : «انتهَى ما لخصته من تقييد الشيخ ...»

على أن هناك أدلةً أخرى أكثر صراحة في أن الكثير من يوميات الرحالة ما يزال البحث عنه من واجبنا .... وقد ذكر مؤرخ المغرب أبو القاسم الزياني في الترجمانة الكبرى نقلاً عن رحلة البلوي : «إن ابن بطوطة لما دخل مدينة فاس بعد رحلته الطويلة ، ولم يزر السلطان أبا عنان وسافر إلى السودان ، استقدمه السلطان المذكور ، ولما عاتبه على عدم الزيارة ، اعتذر ابن بطوطة بهذه العبارة لدَى العاهل الذي كان قد فرغ من تشييد مدرسته الشهيرة العظيمة : «يا مولانا لما دخلت هذه المدرسة التي شيدتم ، ولم أكن قد وقفت على مثلها فيما شاهدته في المعمور ، قلت في نفسي : والله لابد لي أن أتمم عملي بالوصول إلى أقاليم السودان حتّى أشاهدها ، وحينئذ يكون قسمي بارا على أن ليس في الدنيا كلها مثلها ، فحقق الله ظني ...»

وأكرمه السلطان ، وأمره عندئذ أن يؤلف رحلته ويتحدث فيها عن مدرسته التي قال : إنه لا يوجد لها نظير في المعمور...

إن قصة اعتذار ابن بطوطة للسلطان أبي عنان مما لا يوجد فيما بين أَيدينا من نسخ الرحلة[143] الأمر الذي يعزز الاستنتاج بأن التبعة في القفزات الملاحظة في الرحلة إنما تقع على ملخّص الرحلة ، وليس على القائم بها ...

---

(143) مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم 2929 .

على أننا لا نجهل جميعا ما تعرضت له مذكرات ابن بطوطة من سطو ونهب ، جعلته يرسل آهاته عميقة ، عندما أراد أن يملي مشاهداته بعد أزيد من عشرين سنة ...

الزيارة الخامسة 1347/748

ولقد كانت زيارة ابن بطوطة الخامسة والأخيرة لايران في بداية عام 748 = مايه 1347 ، وهو في طريق عودته من الهند إلى وطنه المغرب ... حيث وجدناه يدخلها مرة أخرى من الجنوب الشرقي : من هرمز التي عبر إليها من مرسَى قلهات وكانت آنذاك تابعة لإمارة هرمز على طريقة المد والجزر السياسية التي عرفتها الإمارات آنذاك على ما أسلفنا ...[144]

وسنلاحظ من الآن أن ابن بطوطة في هذه المرة لم يكن من الحماس والرغبة في التسجيل على النحو الذي كان عليه وهو يزور تلك البلاد لأول مرة ، وقد كنا سمعناه في الزيارة الأولى يقول : إنه يُفضِّل أن تكون طريق إيابه على غير طريق ذهابه ، حتَّى يشعر بنشاط ... وهكذا فهو في هذه الآونة إنما يكتفي بالإشارات والإحالات ... وكأنَّ داعيا يستعجل به إلى وطنه ...

لقد أقام في هرمز ثلاثة أيام ، سافر بعدها برا إلى (كورستان)[145] ثم اللار[146] ، ثم خنج بال[147] التي تقدمت جميعها كما يقول ...

ومن هنا سافر إلى كارزي[148] حيث أقام بها ثلاثة أيام ... يسافر

(144) راجع المجلد الثاني من ابن بطوطة ص 226 – 236 ، حيث الإشارة إلى هذا الموضوع .

(145) مدينة كبيرة تابعة لولاية شيراز ، وتقع على مقربة من ساحل الخليج ...

(146) تقع شمال غربي كورستان وجنوب مدينة فسًّا ... (Fassa)

(147) نقلت «لغت نامة» أوصافها عن ابن بطوطة : من المشاتي التقليدية في المنطقة وقد تقدم ذكرها عند الزيارة الثالثة ...

(148) لم نقف على تحديد كارزي ... وترسمه الترجمة الفارسية ، كازري بالكاف المعقودة وتقديم الزاي عن الراء ... ولعل القصد إلى كارزين شمال غربي لار.

بعدها إلى جمكان[149] ثم إلى ميمن[150] ثم إلى فسا[151] ومنها إلى مدينة شيراز ، حيث وجد سلطانها أبا إسحاق الذي كان قدّمه إلينا عند الزيارة الثالثة[152] . باقياً على ملكه ، كان غائبا عن المدينة .

وقد كانت هذه الزيارة فرصة للإجتماع بالشيخ مجد الدين ، قاضي القضاة الذي وجده مكفوف البصر ... ومن شيراز تحول ابن بطوطة إلى (ماين)[153] ثم إلى يزد خاصت (يزد خواست)[154] ثم إلى إكليل (إقليد)[155] ثم إلى كشك زر[156] ثم إلى أصفهان ثم إلى تستر (شوشتر) ثم إلى الحوزة[157] ثم إلى البصْرة ...

وبعد ، فتلك رحلة ممتعة اصطحبنا فيها ابن بطوطة وهو يعبر ديار ايران

(149) لم نجد لها ذكرا في المعاجم التي بين أيدينا (ولعلها سيمكان) لكن ابن بطوطة يعرّفها بأنها تشتمل على قرى أهديت لقاضي شيراز ، والمكان عبارة عن شعب بين جبلين يمر به نهر عظيم ، ومن خصائصه أن نِصفه مما يلي شيراز مسافة 12 فرسخا — شديد البرد ويغرس فيه الجوز الذي يكون عادة في الأمكنة الباردة والنصف الآخر مما يلي خنج بال وبلاد اللار ، شديد الحرارة ويغرس فيه النخيل التي تكون عادة في الأمكنة الحارة .

(150) لعل القصد إلى ميمند جنوب غربي فسا ... حسب الخريطة الرسمية

(151) بسا معربها فسا على العادة في تعريب الباء الفارسية بالفاء : أصبهان : أصفهان،بستة : فستق ، وهي بلدة جنوب شيراز ترجع إلى العهد الساساني .
مرآة البلدان ص 199 .

(152) ذكر ابن بطوطة الشيخ مجد الدين (مجلد 2 ، ص 62) حيث وجدنا المعلقين يلاحظون عليه اختلاط المذكرات لديه : مذكرات الزيارة الثالثة والزيارة الخامسة .

(153) (ماين) توجد على مقربة من يزد خواست جنوبها ...

(154) يزد خواست (Yazde Khâst) قرية من إنشاء محمد شاه ينجو وهي الآن مهدومة ويلاحظ أن البدء كان بكليل قبل يزد خواست .

(155) إكليل تحمل في (لغتنامة) إسم إقليد من إقليم فارس ، وقد استفاد (دهخدا) من ابن بطوطة ...

(156) تقع كشك زر أو (كوشكسار) في جنوب شرقي شيراز وإذا نرجح أن ذكرها هنا كان سهوا من ابن بطوطة ، إذ أنه الآن على مقربة من أصفهان ... ومعنَى كشك زر بالفارسية قصر الذهب ...

(157) كل هذه المواقع سلف تحديدها لدَى الزيارة الأولى ...

في ظروف كانت بالنسبة لتاريخ المنطقة على غاية من الأهمية ، كما أنها كانت كذلك بالنسبة للعالم الإسلامي وبالنسبة لحركة الصراع السياسيّ والعقائدي وخاصة المواجهات بين المذهب السني والمذهب الشيعي وهو الأمر الذي أولاه الرحالة المغربي عنايته الخاصة باعتباره ينتسب لمنطقة يسود فيها ، من أقصاها إلى أقصاها ، مذهب أهل السنة وليس المذهب الشيعي بالرغم مما هو مأثور عن أهل المغرب قاطبة من تعلقهم بآل البيت رضوان الله عليهم أجمعين .

ويعتبر الأسلوب الذي عالج به ابن بطوطة مظاهر ذلك الصراع ومحاولة الحاكمين والمتنفذين فرض التشيّع على سائر أطراف البلاد ، يعتبر في واقع الأمر تعبيراً عن رأي المغرب والمغاربة إزاء المذهب الشّيعي ، وهكذا يمكن القول أن دولة بني مرين كان لها موقف معروف بالنسبة لهذه الظاهرة التي كانت أحد أسباب تكثير مدارسها في العواصم المغربية من أجل حماية المذهب السنّي والعمل على انتشاره ورعايته .

ومن هنا لم يكن غريبا أن نسمع فيما بعد موقف دولة السعديين بالمغرب إزاء محاولة (خُدا بَنده) الصفوي فرض التشيّع على سائر المسلمين في ايران ، وجعله مذهبا رسميا للدولة على نحو محاولة (خُدا بنده) المغولي ، ذلك الموقف الذي تجلّى واضحا بعد معاهدة الصلح بين العثمانيين والفرس بتاريخ 21 مارس 1585 = 19 ربيع الأول 993 عندما أرسل السلطان مرادخان الثالث إلى السلطان المنصور الذهبي يخبره بنتائج الصراع الذي دار بين الطرفين ... فلقد أجاب العاهل المغربي عن سفارة القسطنطينية وخطاب السلطان مراد بسفارة مغربية حملت جوابا حرر في مراكش يشجب فيه محاولة الصفويين ...

تلك حقيقة من الحقائق التي تضمنتها رحلة ابن بطوطة إلى جانب الفوائد الجلّى والمتنوّعة .

د. عبد الهادي التازي

مراجـع

أحمد بن المليح :
سفير المغرب بايران وتركيا ، جواب عن رسالة بتاريخ 28 يوليه 1966 .

أحمد علي خان وزيري كرماني :
تاريخ كرمان 1961 .

مجلة «الإخاء» :
الفنون المعمارية في العهد الاخميني مجلة الإخاء التهرانية عدد 17 شتنبر 1977 .

إدواردج براون :
تاريخ الأدب في ايران من الفردوسي إلى السعدي تعريب د. إبراهيم أمين الشواربي 1373 — 1954 .

اعتماد السلطنة «محمد حسن خان» :
مرآة البلدان (مجلد أول) طبعة حجرية 1294 = 1877 تهران .

ايرج أفشـار :
روزنامة خاطرات اعتماد السلطنة تهران 1345

بهاء الدين بازاركاد :
كرونولوزي تاريخ ايران اسفندماه 1345 .

جعفر الخليلي :
ابن بطوطة في موازين ابن خلدون ومقاييسه ، مجلة البحث العلمي (العدد 27) يناير — يوليه 1977 .

ابن خلدون :
المقدمة ، دار الكتاب اللبناني 1956 .

خليل الله خليلي : سفير أفغانستان ببغداد سابقا).
ابن بطوطة في أفغانستان . تقديم عبد الهادي التازي ، مطبعة الجامعة (بغداد) 1970 .

عباس إقبال آشتياني :
تاريخ مغول تهران 1312 .

عباس بورويز :
تاريخ ايران بعد أزاسلام تاعصر حاضر

عبد الله كنون :
رسائل سعدية ، معهد مولاي الحسن 1954

عبد الهادي التازي :
مع ابن بطوطة من البحر الأسود إلى نهر جيحون ، مجلة المناهل — الرباط — العدد الثاني ، صفر 1395 = مارس 1975 .
العلاقات المغربية الايرانية عبر التاريخ ، مطبعة أكدال 1979 .

أبو سعيد الحميري :
الحور العين — طبعة تهران 1972 .

أبو القاسم الفردوسي :
الشاهنامه ، ترجمة البنداري وتصحيح عبد الوهاب عزام — نشر مكتبة الأسدي — تهران — 1970 .

لطف اض هنرفر :
كنجينة آثار تاريخي أصفهان ، مهرناه 1350 — 1971 .

محبّ الدين الخطيب :
الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشّيعة الإمامية الاثنَى عشرية ، الطبعة الخامسة ، القاهرة 1388 .

محمد علي موحد :
سفرنامه ابن بطوطة ، تهران 1348 = 1930 . (باللغة الفارسية)

محمد فريد المحامي :
تاريخ الدولة العلية العثمانية ، طبعة جديدة 1397 = 1977 ـ .

محمد مصطفَى زيادة :
رحلة ابن بطوطة ، القاهرة 1339 .

مسعود كيهان :
آذربيجان ، جغرافياي مفصل ايران ، تهران 1311 .

مهدي بامداد :
تاريخ رجال ايران ، قرون 12 ـ 13 ـ 14 . (باللغة الفارسية)

نعمة الله الموسوي الحسيني :
زهر الربيع ، طبع تهران 1341 .

هنرومردم (مجلة الفن والشعب) : (باللغة الفارسية)
ابن بطوطة جهانكردي كه در قرون وسطى ... سنة 1346 = 1967 .

Defremery et sanguintti :
Les voyages d'Ibn Batoutah dans la perse et dans l'Asie centrale. Nouvelles annales des voyages. Janvier – Avril – Juillet 1848.
Le Sultan mongle des deux IRAKS et du Khorâcan, Abou Sa'îd – Journal asiatique, Fevrier – Mars 1851.
Voyage d'Ibn Battoutah – Preface et notes de V. Monteil, Paris 1968.

Jean-Claude Guillebaud :
L'île de Kish, rêve Evanoui du chah. Le Monde, 10-8-1979, Paris.

Larousse : l'IRAN
Collection monde et voyages.

Mehdi Mozafari : l'IRAN
Collection dirigée par Georges Burdeau, T. XXIX

N.A. Stillman : KHIL'A
Encyclopédie de l'Islam, Nouvelle Edition 1979.

Nosratollah Mechkati :
Monuments et Sites Historiques de l'IRAN, Theran.

Seyyed Hossein Nasr :
IRAN (PERSE), Theran 1352-1973.

Vincent Monteil :
Les tribus du FARS, Paris 1966.

W. Blunt and Swaan Elek : ISFAHAN
Pearl of persid, London 1966.

فهرس

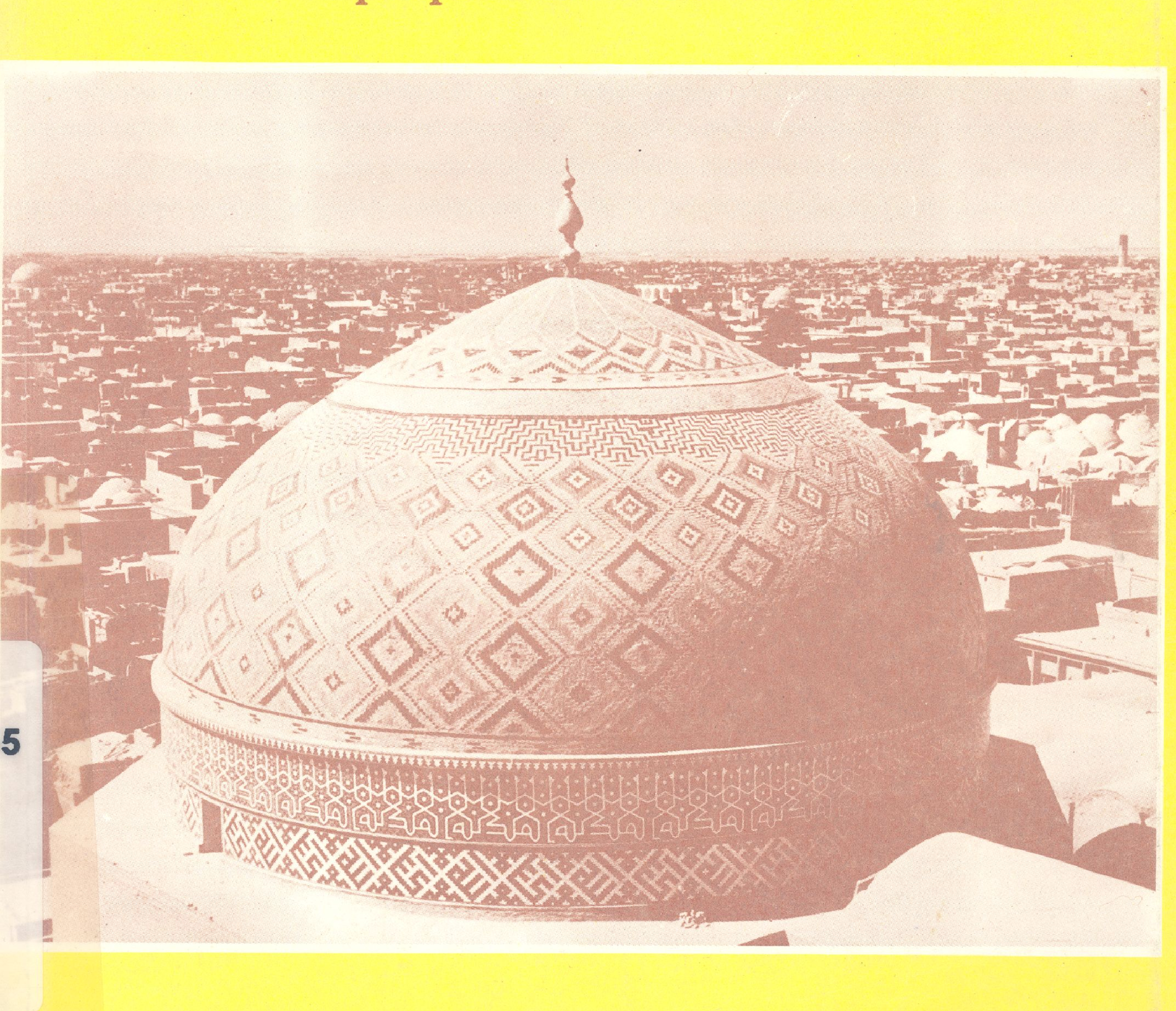
فهـرس الصور

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء
الإيداع القانوني رقم 328 / 1984

Docteur ABDELHADI TAZI

L'IRAN
Entre hier et aujourd'hui

Nouvelle lecture du périple d'IBNOU-BATOUTA



1984 — 1404